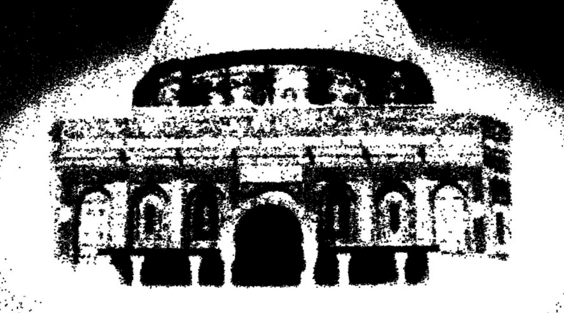
الإسراء والمعراج

تقديم
عبد الصبور شاهين



تأليف
زينب عبد الرحيم

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات تليفاكس: ٣٦٥٥٤٨٧ E . D . P

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾

الإسراء والمعراج

رحلة في الزمان

بقلم

زينب عبدالرحيم

الناشر
المكتب المصري لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم ـ المنيل ـ القاهرة
تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧

الإسراء والمعراج
رحلة فى الزمان

بقلم
زينب عبدالرحيم

رقم الإيداع ١٥٠٦/٢٠٠٠
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5841-40-2

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فهذا كتاب ينقل فكر المسلم من عالم المادة والتجسيد إلى عالم من الفكر والتجريد، وهو يتناول قضية من أخطر قضايا العقل، والعقيدة: قضية الإسراء والمعراج.

وقد طالما دارت مناقشات حول اعتبار هذا الحدث معجزة من المعجزات التى كرم الله بها محمداً ﷺ ، وهو كذلك باعتباره فى ذاته حدثا كونيا تولت القدرة الإلهية تنفيذه.. ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾. ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴾ النجم.

ولكن حدث الإسراء والمعراج ليس من جملة المعجزات التى أيّد الله بها نبيه، إظهاراً للحق، واثباتا للنبوة، وتصديقا للرسول، فقد إتفق العلماء على أن من خصائص المعجزة أن تقترن بالتحدى وهو ما يتجلى في مواجهة لسان العرب بلغة القرآن، ولم يكن فى الاسراء أو المعراج هذا التحدى توصلا إلى تصديق النبوة، بل كان حدثا محجوبا عن الأعين، مقصورا على الإخبار بوقائعه، دون معاينة شيء من هذه الوقائع، وبذلك انتفى التحدى، وبقى الإعجاز فى أسراره المحجوبة، وغيبياته اللانهائية.

الأستاذة زينب عبدالرحيم ـ مؤلفة هذا الكتاب ـ تحاول أن تقرّب إلى عقل المسلم كيف تم هذا المعراج من خلال رؤية فيزيائية

تأملية، وهى محاولة أسأل الله أن يأجرها عليها، لقاء ماتجشمت من ارهاق الفكر، وهى تحلق مع النظرية العلمـيـــة، ثم وهى تصاحب خطو رسول الله ﷺ فى الملأ الأعلى، تحاول تفسير ما جاء فى النصوص.

إن هذا كتاب لم يكتب مثله فى الثقافة الدينية، وهو نقلة طائرة على جناح الحب، والطموح، حب الحق، والطموح إلى خدمة الدعوة فى هذا الزمان، بمنطق جديد، ورؤية مستنيرة، وقلب عامر بالإيمان، والله يتولى جزاءها على صدقها وإخلاصها، وحرصها على تبليغ دعوة الله بإسلوب جديد..

د .عبدالصبور شاهين

١٩٩٩/٨/١م

مقدمة

سبحان الله العليم بذاته.. القدير بذاته.. الحكيم بذاته.. جعل لكل شيء سببا حتى يسعى كل مخلوق بأسباب حياته.. وأنذر حتى ينتفى العذر.. وبشر حتى يهوّن الصبر.. ومن الإنذار أن يرى المرء عاقبة الأمور، ومن الرحمة أن يكون للخلق بشير ونذير.

وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، كان لابد أن تجتمع لديه الحقيقة كاملة بخواتيمها الحسنة والسيئة.. كان يجب أن يرى.. وليس بعد الشهود برهان..

فرأى النبى خاتمة الدنيا.. خاتمة حياة البشر..الآخرة. أوصله لها ربه ليراها والبشر مازالوا فى خضم حياتهم يحيون، ليستبقى لهم فرصة النجاة والفوز قبل فوات الأوان ـ ليقول لهم هذه آخرتكم، كما أن هذه دنياكم حقيقة حاضرة لاغائبة ولاغائمة فى أوهام..رآها نبيكم رأى العين.

فكانت رحلة الاسراء والمعراج بمرائيها هى البرهان المشهود على البداية والنهاية، وعلى القدرة الإلهية لخالق رحيم يريد لعباده ألا يغفلوا عن أن هناك نعيما وجحيما، وعلى الحصيف منهم أن يختار، وهو مازال قادرا على الإختيار..

كان لابد للنبى أن يرى الحقيقة ماثلة أمام عينيه.. يلمسها بيديه.. ليقنع أمته بها، كشاهد لها..

لكن بعد:

قال البعض أنه رأى فى رحلته أشباها ونماذج ـ لماذا قالوا ذلك؟.. واستبعدوا أن يرى النبى ﷺ الأحداث قبل أوانها؟!

بل كان الله قادرا ــ وأراه الأحداث فى زمن وقوعها فى المستقبل، نقله لهذا المستقبل نقلة لايقدر عليها إلا خالق الزمان والمكان، فعاين الحقيقة ذاتهافى وقتها ومكانها..

قال تعالى ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ من الآية ١ ــ الإسراء.

والآيات لاتأتى.. ولاتُعرض.. إلا حقائق..

ثم قالوا:

إن رؤيته لجبريل عليه السلام، على صورته الملائكية، كان الآية الكبرى التى رآها فى السماء.. وأقول:

قول الله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير (١) ﴾ ــ الإسراء.

يعنى أن الإسراء بالرسول ﷺ كان الغرض منه رؤية الآيات ﴿ لنريه من آياتنا ﴾، والمعروف أن الآيات المرئية (عجائب).. فإذا كانت رؤية جبريل (الملك) من هذه الآيات.. لاستبعد ذكرهالأن النبى رأى تلك الآية من قبل، وهو على الأرض.. إذاً لاداعى للذهاب للسماء لرؤيتها مرة أخرى، فهى حتما ليست من جملة الآيات التى تقتضى رؤيتها، الإسراء به[1]!..

(١) قلت فى هذا الكتاب أن لفظ (الإسراء) ينطبق أيضا على (المعراج) او العروج. لأن الإسراء لغويا: (السير ليلا) وكلاهما كان كذلك: المؤلفة.

وكانت وسيلة الاسراء من صنع الله وصبغته:

﴿ من أحسن من الله صبغة ﴾ الآية ١٣٨ ـ البقرة.

أيضا جعل الله المعراج وسيلة للنبى لقطع الزمان والمكان فقام المعراج بمهمته خير قيام، وأوصل النبى للدار الآخرة زماناومكانا فى (طرفة عين).. بسرعته التى تفوق سرعة الضوء بملايين المرات وأكثر[١].

لماذا وسيلة، وهو القادر بغير وسيلة؟

هذا: ليكون العروج به فى السماء، من معجزات العصر وتحديا لعمل القوم فى ريادة فضاء الكون فى آخر الأزمان على الأرض. والبعثة المحمدية زمنها من تلك الأزمنة، وأمته ﷺ وشريعتها ممتدة إلى يوم الدين ويجرى عليها مايجرى على الأمم الأخرى فى آخر الزمان من ريادة للفضاء.

قال المرحوم الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه / المعجزة الكبرى ـ صفحة: ٥٤:

(ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون معجزة الاسراء.. دليلا ايمانيا يبقى إلى يوم القيامة.. لأن رسالة رسول الله ﷺ باقية إلى يوم القيامة.. فجعلها غيبا عليه دليل مادى. حتى تناقش بالعقل.. وتكون مدخلا للإيمان) أ. هـ.

---

(١) سنعرف ان للآخرة مكانا!

ويقول الله تعالى:

﴿ فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والقمر إذا اتسق (١٨) لتركبن طبقا عن طبق (١٩) ﴾ الآيات من ١٦: ١٩ - الإنشقاق. وهذه الآية الأخيرة ﴿ لتركبن طبقا عن طبق (١٩) ﴾ والتى هى فى سياق آيات كونية تسبقها.. الأقرب لفهمها وتفسيرها كما قال د. أحمد عبدالسلام الكردانى فى كتابه / نماذج من الإعجاز القرآنى - عن مجمل الآيات الكونية - ما معناه: ألا يكون تفسيرها (مجازيا) بل بالعلوم المادية للكون. لذلك أقول: هذه الأطباق المذكورة فى الآية، الأقرب لفهمها أن تكون (أطباقا طائرة).. لا كما فسرها السلف (أحوالا)، أى (الانتقال من حال لحال). ولهم عذرهم فى ذلك فلم يكن فى زمنهم حتى طائرة.. ولا ابتعد عن الأرض إلا الرسول ﷺ، لذلك قال ابن عباس مما قاله فى تفسيرها (إذا قرأت بنصب الباء (لتركبَن): يا محمد سماء بعد سماء فى ليلة المعراج)[1]أ.هـ.

وأقول:

سورة الإنشقاق كانت السورة رقم ٣٣ فى النزول على سيدنا محمد بعد سورة الاسراء، فكيف بعد أن أسرى بسيدنا محمد ﷺ، وأخبر الله بذلك فى سورة الإسراء ليؤكد صدقه، يعود ليقول له إنه سينقل من سماء إلى سماء، بينما الأمر - كان وانتهى. هل يكون القسم على شىء حدث من قبل، أو سوف يحدث فى المستقبل؟!

---

(١) كتاب/ تنوير المقباس/ من تفسير ابن عباس - صفحة ٥٠٦.

ثم إن كلمة (لتركَبُن) جاءت هكذا فى الآية بضم (الباء)...

فالخطاب إذاً موجه لأمة محمد التى ستتنقل فى الفضاء كغيرها من الأمم فى المستقبل. وحينها سيكون المعراج لأمة محمد، برهان الرب لزمان شديد التقدم العلمى.. فتظهر هيمنة القدرة على هيمنة الفكرة.. والله ورسوله أعلم.

المؤلفة

تمهيد

ماهى رحلة الإسراء والمعراج؟.. وهى بلاشك، رحلة.. لأنها إرتحال من مكان إلى مكان.. ارتحال من أرض إلى سماء وهما مكانان.. ولكن هل كانت فقط بين مكانين؟.. أم كانت بين زمانين؟. هذا هو الجديد الذى سوف نحاول أن نعلمه عنها.. وكيف يمكن الترحال فى الزمان.. من القادر على قطع الزمان وطيه؟

أسئلة سنجد إجاباتها إذاما أمعنا النظر فى أحداث رحلة الإسراء والمعراج لسيدنا رسول الله ﷺ. وهى رحلة كأى رحلة فيها تُشاهد المشاهد.. وبذلك يكتسب العلم والحكمة. ومع ذلك: فهى لم تكن رحلة كأى رحلة.. لأنها استدعاء من رب العالمين لرسوله ليحمل تكاليف لأمته مباشرة من خالقهم وبلا وسيط.

وفيها رأى الرسول مابعد سدرة المنتهى.

ووصل إلى رحاب لم تصل إليها خطى..

واقترب من ربه ما لم يقترب مخلوق، كرامة من الرب لمن خلقه من نور وجهه.

واختلف المفسرون فيمارآه الرسول، وكيف رآه.. مثلا: كيف رأى الأنبياء فى الأرض وفى السماء فى ذات الوقت؟ ولكن الأمر لم يكن كذلك..لأنهم لم يُقدّروا أنها أيضا كانت : رحلة فى الزمان، فكان الوقت غير الوقت؟! إنه المستقبل: البعيدعن الأرض.. داخل: أبواب السماوات.. فى زمانها الذى يختلف باختلاف مداراتها وأبعادها..

فتنة المعراج

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (٦٠) ﴾ ٦٠ ـ الإسراء.

هو قول صريح قاطع من الله تعالى أن المعراج قصد به فتنة الناس (يعنى ما رأى الرسول ما رأى فى المعراج)(١) إلا أن تكون رؤياه هذه فتنة من الله للناس أى إختباراً لهم من الله لقياس مدى إيمانهم وتصديقهم لكلام الله ورسوله.

لذا كان من الواجب أن نؤمن ونصدق بكل ما رآه الرسول وأخبر به، عقلناه أم لم نعقله أى تمشى مع عقولنا وتصوراتها أم غلبها فى هذا الشأن. لنثبت كامل إيماننا(٢).

وإذا أردنا تقريبها إلى عقولنا فلنقربها ـ هذه الرؤى ـ على هذا الأساس، وهو تصديقها كما وردت فى القرآن والسنة: من أنها رؤى أخروية حقيقية لاكما تعقلها عقولنا وتتصورها.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣/٣.

(٢) [وماكان محمد يستطيع ان يُرى قومه كيف كان يتم الوحى أو يأتيه بالآيات البينات، ولاكان يستطيع أن يريهم كيف كان الإسراء والمعراج ولاماجرى خلالهما من مراء علوية بل اقتصر على مجرد الإخبار بوقوعهما، تاركا للقوم أن يقبلوا أو يرفضوا خبره وهى الفتنة التى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) ـ د. عبدالصبور شاهين كتاب / مع الرسول فى اسرائه ومعراجه، ص٩ .

أبواب السماوات

هذه الأبواب التى تحدث عنها الرسول ﷺ فى حديث الإسراء والمعراج تدل على أن للسماوات أبوابا.. وآيات القرآن الكريم تحدثنا عن أبواب للسماء أيضا..

يقول الله تعالى:

﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) ﴾ الآية ١٩ ـ سورة النبأ.

ويقول: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ (٤٠) ﴾ من الآية ٤٠ ـ سورة الأعراف. بل جعل القرآن لكل شىء بابا ـ بقوله تعالى:

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الآية ٤٤ ـ سورة الأنعام.

وأقول: الباب مدخل ـ فما (حكاية) الحراس ـ وطريقة فتحهم لباب كل سماء؟ وهو ما اعترض عليه الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى ـ فى كتابه/ الله والكون عندما قال:

(وربما لو فسر الرسول الكريم اشارات القرآن الكريم العلمية آنئذ مافهم الناس كثيرا مما يقول. ولهذا نستبعد الصور التي أوردتها الإسرائيليات فى هذا المجال. فمثلا فى العصور الوسطى كانت هناك قلاع لها أبواب يقف عليها الحراس بحيث لايلجها إلا من يؤذن له بالدخول، فهل لكل سماء باب عليه حراس فلا يؤذن لجبريل عليه السلام بالدخول أو المرور حتى يدق الباب ويطمئن إليه الحراس؟ على النحو الوارد فى بعض أحاديث المعراج:

قيل من الطارق؟ قال أنا جبريل. قيل ومن معك؟

قال هذا سيد الخلق..؟!

إنها ولاشك من صور العصور الوسطى..) أ. هـ(١)

وأقول تعليقا على هذا الكلام:

لا أبواب السماء مستبعدة.. ولا الحراسة عليها كذلك. لأن هناك حرس في السماء. وهذا ما رآه الجن رأى العين ـ وذكره القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (٨) ﴾ الآية ٨ ـ سورة الجن.

والشهب معروفة ـ ولكن ما القول في هذا الحرس الشديد؟!..

وإذا كانت السماوات السبع طباقا ـ أى كل منها مقفلة(٢)! والملائكة المرسلون بمهام إلى مخلوقات الله تمر خلال السماوات بالأمر المراد نزوله من سماء إلى سماء.. قال تعالى: ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر (٤) ﴾ الآية ٤ ـ سورة القدر.

وقال: ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن (١٢) ﴾ من الآية ١٢ ـ سورة الطلاق. أفلا يوجد إذاً باب يمرون منه من هذه الأطباق المقفلة!..

أيضاً مافائدة تقسيم السماوات إلى سبع إن لم يكن بينها

---

(١) كتاب/ الله والكون ص ٣٠٠.

(٢) القفل من معانى (الطباق) كما بينت ذلك فى الكتاب الثانى (خلق السماوات والأرض) من سلسلة: من تفصيل القران لآياته الكونية: للمؤلفة.

حواجز؟ ـ بالطبع وجدت الأبواب ـ ولكن لانظنها كأبواب مبانينا.؟ نحن نصنع أبوابنا من مادة مناسبة لمادة البناء.. فما بالنا ببناء السماوات السبع تلك الشداد؟!.

إذاً لم توضع لهذه السماوات أبواب من حديد أو نحاس أو خشب مثلا ـ وأن هذه فقط التي يجب حراستها ـ بل وضعت بالطبع أبواب مناسبة لها.. والحراس كذلك مناسبون(١)؟.

قل: ربما هي تكون مجالات مغناطيسية.. ألم نسمع مثلا في أبحاث التفاعلات النووية كيف يصنعون غرفا من مجالات مغناطيسية تُجرى فيها هذه التفاعلات التى تنتج عنها حرارة لاتتحملها أى حاوية لها..ولذلك اخترعوا لها هذه الغرف أوالمجالات ـ هذا على قدر علمي ـ ويعلم اليقين القريبون من تلك الميادين(٢).

وعلي هذا يمكن أن نتصور سياجا أو حاجزا لكل سماء أقرب لهذا النوع من القوى يحميها. وفى الحواجز أبواب. وهى كما يفهم من حديث المعراج ـ مقفلة. لاتفتح إلا لطارقها. ولن يعرفها بالطبع إلا الملائكة ويطرقونها (بطرق مناسب) لها. وقد تكون ليست مادية كما قلنا كما أن أجسام الملائكة ليست مادية..

---

(١) خاصة واحدى هذه السماوات (السماء الدنيا) من دخان.. فكيف يوضع للدخان باب.. وكيف يطرق؟.

(٢) ١٠٠ مليون درجة حرارة مئوية تنتج من مفاعل (تحت التجربة) فى أوربا ـ لانتاج طاقة جديدة نظيفة. وهذه الدرجة الحرارية قدر درجة حرارة مركز الشمس ثلاث مرات.

وعن وجود الأبواب فى السماء الدنيا يقول الله تعالى:

﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) ﴾ الآية ١١ ـ سورة القمر. وإذا قيل بأن المطر من السحاب.. فأين الأبواب؟

أقول: ولماذا لاتكون هذه الأبواب من مستوى أعلى من سماء المطر؟ فنحن نعرف ـ بذكر القرآن الكريم ـ أن لسماء الأرض مستويات كثيرة؟ لماذا لاتكون ابتداء من قوى معيّنة ترسلها مثلا بقع شمسية لتحرك وتثير جو الأرض فى عواصف وأمطار وما إلي ذلك.. وهذا الاضطراب لجو الأرض.. جاء من السماء التى فتحت فيها منافذ لهذه القوى. وهذه المنافذ فى السماء إذا فتحت تدخل أنواعا كثيرة من القوى ليست جميعا من المحتم أن تنزل المطر. ولكن هذا النوع منها ينزل المطر.. ولذلك قال بماء منهمر ـ للتفرقة بين مايمكن أن يسفر عنه فتح أبواب السماء ومنافذها من فعل على الأرض..

وهكذا نستعين على تلك الحقائق البعيدة عن إدراكنا وعلومنا بما لدينا من معلومات مدركة حتى لانستبعدها كلية. فنحن لو استبعدنا ـ كما يقول د/جمال الدين الفندى ـ بعض الصور من رحلة الإسراء والمعراج كالحراسة لأبواب السماوات كما قال[1].. لأنها أشياء غير ملموسة أو مادية فى السماوات لاستبعدنا إذاً كثيرا من الأشياء الأخرى التى رآها سيدنا محمد

---

(١) فى شرح بعض ألفاظ حديث المعراج قال الخازن عن قوله: ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح (وفيه أن للسماء أبوابا وبوابين وأن عليها حرسا) الخازن ٣/١٤٩.

ﷺ فى رحلته تلك التى يقول عنها الدكتور جمال أنها رحلة فضائية بين أجرام الكون؟! - إذ يقول:

(.. وفى سورة النجم هذه التى مطلعها القسم بالنجم إذاهوى ورد ذكر المعراج أو الصعود بالرسول ﷺ، إلى عوالم أخرى تتبع النجوم الضاربة فى أعماق الفضاء، والتى نرى جانبا منها فقط لعظم امتداد الفضاء الفسيح امتداداً يفوق حدود الوصف والخيال. وهنا مرة أخرى يجب أن نؤكد أن المعراج كان بالجسد والروح إلى عوالم مادية مثل عالمنا وليس بالروح فقط إلى عالم الأرواح والأشباح أو عالم ما وراء المادة لكى يرى الرسول من آيات الخالق الكبرى بعينيه عوالم كالأرض يظلها الإيمان وتنتشر بين ربوعها المحبة ويعم الإخاء ويعبد الله تعالى فى كل مكان، وهكذا هانت عليه الأرض ومن فيها) أ. هـ[(١)].

ومرة أخرى أعلق على كلام المرحوم الدكتور/ جمال الدين الفندى - فأقول:

إن رحلة الإسراء والمعراج ليست رحلة فلكية بمعنى الفلك لأنها لاتستخدم أدواته ولاترى بمناظيره ووسائله. فكيف تتوصل لذات نتائجه؟

إنها رحلة من نوع خاص.. رحلة مادية روحية نعم.. ولكن ليس بالمعنى المقصود.. وإلا فما فائدة أن غسل سيدنا جبريل

---

(١) كتاب/ الله والكون ص ٢٧٠.

ﷺ قلب النبى ﷺ قبل بدء الرحلة؟ إن رواد الفضاء لايغسلون قلوبهم .. وبهذا الغسيل امتلأ بصرا وبصيرة وربما امكانات أخرى لانعلمها لهذه الرحلة الطويلة القصيرة!

وأن ماشاهده سيدنامحمد ﷺ فى هذه الرحلة هو بالبصر. والبصيرة على حد سواء. فما يراه البصر هو الموجود المادى الظاهر، وما تراه البصيرة لاتدركه العين بنظرها..

نظرة أخرى للرحلة

إذا أمعنًا تفكيرنا أكثر فى تلك الرحلة.. سنقول:

إن هول ما قطعه الرسول ﷺ من مسافات (بلايين السنين الضوئية داخل الكون المادى وما يعلمه الله خارجه) قد أوصله (للمستقبل) هذا الاعتقاد والتصور يرجع جزئيا لماكتشفه العلماء فى العصر الحديث من خواص الكون وقوانين الحركة فيه. وقد أكد هذه القوانين عالم الرياضيات الشهير ألبرت اينشتين فى نظريته النسبية - ويرجع كليا إلى قدرة الله وما وضع لكونه من سنن هو قادر على تغييرها حين (يخرق القانون) لتستبين المعجزة. فكيف خُرق القانون فى معجزة الإسراء والمعراج؟

المعراج والكون

أقول: الفضاء الكونى الذى شاء الله أن يكون مسرحاً لبداية تحرك المعراج.. لتستبين أيات الله فى الآفاق كما قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٥٣) من الآية ٥٣ - فصلت.. هذا الفضاء تربطه حقيقة بسيطة

وعميقة فى ذات الوقت تشمل الكون المادى كله:

(أنه نسيج من الزمان والمكان). فأنت لاتستطيع أن تتواجد في المكان دون زمانه.. أنت دائما فى مكان كذا.. فى زمان كذا.. لذلك يسميه العلماء (الزمكان) أى الزمان المكانى.

ويمثل الزمان البعد الرابع المكمل لأبعاد المكان الثلاثة: (الطول ـ العرض ـ الإرتفاع)[١].. وعليه الذى يقطع مكان (الدنيا) أى السماء الدنيا، أو سماء الدنيا ـ كما قال ابن عباس فى حديث الإسراء والمعراج (وبذلك نفهم أن الدنيا تمثلها السماء الدنيا بما تضم من أجرام ومخلوقات) ـ من يقطع هذه السماء أو هذا المكان فقد قطع (زمان الدنيا) المرتبط بمكانها هذا..

والذى يقطع زمان الدنيا ويصل إلى اخره سيكون فى مكان ما يوجد عند آخر هذا الزمان مرتبط به أيضا ـ هذا المكان نسميه (الآخرة) ـ وهو المستقبل الذى تنتظره الدنيا ولم يحن وقته بعد.. إذاً النبى وصل إلى زمن مستقبلى للدنيا بقطع مسافتها أو مكانها.

والمعراج كوسيلة سخرها الله لهذا الانتقال كانت أسرع من الضوء. وكانت لتقطع هذه المسافة المهولة بين الأرض والسماء بأقل وقت. لكن قوانين الحركة فى الكون والتى اكتشفها فيه العلماء حاليا لم تكن فى وضعها العادى مواتية لعمل المعراج ـ حيث يقول العلماء:

---

(١) سيأتى تفصيل ذلك فى (علاقة الزمان بالمكان).

أولاً: باستحالة تحرك جسم فى الفضاء بسرعة أكبر من سرعة الضوء أو حتى بسرعته إلا إذا تحوّل إلى ضوء أو إشعاعات (طاقة).

ثانياً: أن تحرك جسم بسرعة كبيرة يكسبه كتلة أى (وزن) أكبر، وأثبتوا بالتجربة صحة ذلك عندما رأوا أن: القذائف المشعة التى تطلقها مادة الراديوم واليورانيوم - وهى دقائق مادية متناهية الصغر تنطلق بسرعة قريبة من سرعة الضوء - تزداد كتلتها بحسابات معينة (بما يتفق مع حسابات اينشتين).

أقول: فما بال المعراج وهو ليس من الدقائق كما أنه جسم مادى كما سيأتى ذكر ذلك فى وصف النبى له؟ - هنا كان لقدرة الله أن تتدخل لتخرق هذه القوانين الكونية وتفكّ إسارها عن المعراج.. الذى يتحرك فى فضاء الكون بسرعة أكبر من سرعة الضوء[1]. حتى لايعرقل (وزنه) الذى يزداد بحركته (تبعا لقانون الحركة) سرعة هذا التحرك[2].

---

(١) الضوء يصل لأطراف الكون المرئى فقط فى ٢٠ بليون سنة ضوئية (أى ٢٠ الف مليون سنة) - بينما قطع المعراج أضعاف هذه المسافة فى ثانية فقط (طرفة عين) - يقدر $\frac{١}{٢}$ قطر الكون بـ ٣٥ بليون سنة ضوئية.

(٢) إستطاع اينشتين ان يقدم المعادلة الدقيقة للعلاقة بين كتلة الجسم وسرعته:

$$ك_١ = \frac{ك}{\sqrt{١ - \frac{ع^٢}{ص^٢}}}$$

حيث ك١ هى كتلة الجسم وهو متحرك، ك كتلته وهو ساكن، ع سرعته، ص سرعة الضوء. وعندما تقترب ع من سرعة الضوء تصبح ك١= مالانهاية./ اينشتين والنسبية ص ٦٤.

وبذلك وصل المعراج لغايته وانتقل به الرسول بقدرة الله انتقالا خاطفا عبر الكون والزمن مخترقا كل القوانين ومهيمنا عليها لتستبين المعجزة وطلاقة القدرة ضد نواميس الكون وغيرها(١).

وبمعجزة خروج النبى من الزمن الدنيوى.. كانت رؤيته للمرائى الخاصة بالناس بعد زمن الدنيا.. وترك مكانها ووصوله إلى زمن الآخرة(٢).

والنبى ﷺ يرى فى كل هذا بعينيه وبصيرته بعد ما انتقل عبر المسافات وعبر الزمن للسماوات العلى يقول الله تعالى:

---

(١) وجد العلماء أيضا أن سرعة الضوء ثابتة مهماتحرك المصدر لذلك كان سرعة جسم متحرك بالسرعة ع يكون زمنه نَ بالنسبة للزمن ن الذى هو المرجع فى قياس الزمن:

$$\bar{\text{ن}} = \frac{\text{ن}}{\sqrt{1-\frac{\text{ع}^2}{\text{أ}^2}}}$$

حيث أ سرعة الضوء

حتى إذا كانت ع = أ فإن:

نَ الانهاية: وبالمثل ينكمش المكان / كتاب الله والكون ص ٤٠٢.

(٢) ما فرق الدنيا عن الآخرة؟ أقول: هو زمن. ولأن المسافة إذا قطعت تحولت إلى زمن ـ فقد يصبح الفارق بين الدنياوالآخرة هو: مسافة! ولذلك أقول أن الدنيا يمثلها الكون المادى الذى هو جوف السماء الدنيا (قلت فى غير هذا الكتاب أن كل سماء كالكرة المجوفة تحمل داخلها السماوات الأخرى، فكانت سبع طبقات) فإذا كان جوف السماء الدنيا هو الدنيا.. فما بعده أو خارجه يكون بداية خلق آخر هو الآخرة مكانا وزمانا ـ وعلى ذلك يكون (ظهر) السماء الدنيا وليس جوفها (داخلها) هو بداية الآخرة. وتكون القيامة ايضا خاصة بنهاية هذه السماء وماتحمل. أما خارجها من باقى السبع سماوات فهو باق بما يحمل من الجنة والنار والصراط والنبيين وشئون الآخرة من حساب الخلق وجزائهم باق إلى الزمن الذى يريده الله لبقاء تلك السماوات والله اعلم.

﴿ أفتمارُونه علىٰ ما يرىٰ (١٢) ﴾ الآية ١٢ سورة النجم. وهكذا كانت رحلة المعراج بالروح والجسد المهيأين لها والمغسولين بيد سيدنا جبريل عليه السلام وما أبعد ذلك عن رحلات الفضاء الكونى بين العوالم الفلكية[1] التى يمكن بتطور أدوات العلم الوصول إليها..؟!

(١) [ورأيت النجوم متعلقات كتعليق القناديل فى المساجد أصغر مايكون منها أكبر من جبل عظيم ثم صعد بى إلى سماء الدنيا فى أسرع من طرفة عين] الإسراء والمعراج لابن عباس.

السماوات تدور

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤) ﴾ الآية ٤ ـ المعارج.

هذا اليوم ليس من أيام الأرض.. بل هو يوم من أيام السماوات، وإن كان يوم القيامة؟ ومادام قد حدث للسماوات أيام.. فاليوم دورتها، كما تدور الأرض حول نفسها.. في يوم قدره ٢٤ ساعة. وإذا كان هذا هو يوم السماوات حيث يبلغ ٥٠ ألف سنة، فما أسرع دورانها حول نفسها لأن يوم مجرتنا التى نعيش فيها (طريق التبّانة) يبلغ ٢٠٠ مليون سنة من سنين الأرض. أى أن سرعة دوران السماوات قدر سرعة المجرة ٤٠٠٠ مرة. هذا إذا كان محيطها يساوى محيط هذه المجرة!.. وهيهات أن تكون نقطة من محيط تساوى المحيط كله؟ فالمجرة واحدة من ملايين الملايين من المجرات التى تزخر بها السماء الدنيا.. والتى استطعنا رصدها فقط.وهذا كله لاشيء بالنسبة لكيان السماء الكامل، فكم يكون حجم السماوات السبع، وكم تبلغ سرعتها الحقيقية؟

وهل ما (عند الله) يوم آخر ودورة أخرى غير دورة (السماوات)..؟ نعم. يقول الله تعالى:

﴿ وإنَّ يومًا عند ربِّك كألف سنة مِّمَّا تعدُّون (٤٧) ﴾ الآية ٤٧ سورة الحج.

وهذه سرعة أخرى قدر سرعة اليوم السابق للسماوات ٥٠ مرة!

وليست هذه الآية فقط هى الإشارة الوحيدة لهذا اليوم عند الله - يقول تعالى:

﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (٣٨) ﴾ الاية ٣٨ - سورة فصلت.

هذا عن الملائكة. ومن غير المعقول أن يكون المقصود فى الآية هو ليل الأرض ونهارها (وهم عند ربك) والله عنده اليوم كألف سنة.. إنه يوم خارج السماوات السبع.. وإن كان دون العرش الذى هو لله وحده.. وإن رحلة الإسراء والمعراج لسيدنا رسول الله ﷺ ستكون مجالنا لمعرفة نسبية الزمن.. ودورانه فى ملكوت الله الواسع(١).

---

(١) قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع.
[اليوم استدار الزمان كيوم خلق الله السماوات والأرض] هذا القول من الرسول لو تأملناه فهو يشير إلى حقيقة كونية عميقة. فقوله (استدار الزمان) فهذه دورة من دورات الزمن - بالطبع للسماوات، فيكون قد مر يوم واحد من أيام الخلق بعد خلق السماوات والأرض - والله أعلم.
كذلك نلاحظ أنه مادام هناك دوران للزمان فيعود لما بدأ به.. فهو زمن يتعامل مع كيان كروى وهو مانظنه كيان السماوات والأرض..

هى رحلة الإسراء والمعراج. وقد تناول هذه الرحلة بالشرح البغدادى الصوفى المعروف باسم (الخازن). وهو الإمام/ علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم الخازن، وذلك فى تفسيره للقرآن الكريم.. فسرد بعض روايات أحاديث الإسراء والمعراج التى وردت فى كتب السابقين. وتكلم أولا عن (البراق) وقال أنه:

(اسم الدابة التى حملت سيدنا محمد ﷺ ليلة أسرى به. واشتقاقه من البرق. لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلألئه ونوره) أ. هـ.(١).

هكذا يقول الخازن عن البراق رغم أن هذا الوصف يليق بمركبة فضاء!.. وليس بدابة؟. ولكنه دابة حيث ربطه النبى ﷺ بصخرة من صخور المسجد الأقصى بعد أن ثقبها له سيدنا جبريل بلمسة أو بكلمة.. ثم أخذ سيدنا جبريل النبى ﷺ من يده وعرج به إلى السماوات بعد صلاته بالمسجد. ويقول الخازن على لسان سيدنا محمد ﷺ ـ فى نهاية الحديث المأخوذ عن حماد ابن سلمة بن ثابت البنانى عن أنس ـ وأخرجه مسلم:

(.. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل.. قيل من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره

---

(١) لمعان البراق ليس لونا ـ إنه نوع من الاشعاع ينبعث منه يجعل المادة فى (حالتها الثالثة):غير مرئية للشخص العادى.

إلى البيت المعمور.. وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه[1]. ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى «وفى حديث قتادة رفعت إلىّ سدرة المنتهى» فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمارها كالقلال. قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلىّ ما أوحى. ففرض على أمتى خمسين صلاة.. خمس بخمسين) أ. هـ. والخازن فى سرده لأحاديث الإسراء والمعراج كان مثل غيره من المفسرين، إلا أنه كان يفكر بعمق فى تلك الأحداث التى اشتملت عليها الرحلة، فكانت له معها أسئلة حيّرته وحاول الإجابة عليها لتنتهى حيرته. أنقل منها على سبيل المثال قوله ما معناه:

(كيف بعد أن غسل سيدنا جبريل قلب النبى وجوفه وعروقه

---

(١) وتطوف الملائكة حول الكعبة الأرضية فى هذه الحياة الدنيا أيضا. يقول القاسم بن يوسف التجيبى «رحالة مغربى جاء للقاهرة فى طريقه للحج وتتلمذ على شيوخها وتسجل مخطوطته تاريخ لقائه بالشيخ ابن دقيق العيد الذى أخذ عنه بالمدرسة الكاملية فى سادس من جمادى الأولى سنة: ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م واصفا رحلته إلى مكة المكرمة وما قابله من أشخاص فقال:
«جعفر الخواص اذ قال حدثنى عبد العزيز الأهوازى رحمة الله عليه ـ قال: لى سهل بن عبدالله: ابن العماد ـ ان: مخالطة الولىّ للناس ذل وتفرده عز. وقلما رايت ولياً لله تعالى إلا منفردا، إن عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة جليلة، وموهبة جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلي بلد، حتى اتى مكة فقلت له: لقد طال مقامك فيها، فقال لى: لم لا اقيم بها.. ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة اكثر من هذا البلد، أحببت أن أكون فيه مقيما والملائكة تغدو فيه وتروح. وأنى أرى فيه أعاجيب كثيرة. أرى الملائكة يطوفون فيه على صور شتى. لايقطعون ذلك ولوقلت لك كل ما رايت.. لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين) أ. هـ ـ عن كتاب / مستفاد الرحلة والاغتراب صفحة ٢٣٨.

قبل الرحلة بماء زمزم، جاء بطست ذهب ملىء بالحكمة والإيمان، وأفرغه فى صدره ﷺ. الحكمة والايمان - معان - والإفراغ صفة الأجسام: فما معنى ذلك؟) أ. هـ. وكانت إجابته على هذا التساؤل قوله :

(قلت يحتمل أنه جعل فى الطست شىء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما) أ.هـ(١).

وأقول للخازن: بل هى (ذات) الحكمة والايمان فى الطست! لأن (المعانى) - الله بقدرته سبحانه وتعالى يجعل لها أجساما. مثلما جاء فى الحديث الشريف من أن (الموت) يجعل على هيئة (كبش) ويذبح بين الجنة والنار.. ويقال: ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت.

وهذا الموت أصلا معنى؟

فلا استبعاد (لجسم) الحكمة والايمان(٢)؟

ويتساءل الخازن أيضا بأخطر أسئلته وأصعبها قائلا:

---

(١) تفسير الخازن ٣/١٥٠.

(٢) والحكمة والايمان كان يجب زيادة رصيدهما عند الرسول ﷺ ليكون على مستوى استقبال هذه الرحلة. فالرسول بشر وقد تذهل نفسه أو عقله عن استيعاب الآيات الكبرى التى تعرض عليه فلا يطيقها (فلما نظر ملك الموت إلىّ وجدت الدنيا بين يديه كالدرهم بين يدى أحدكم يقلبه كيف يشاء فارتعد قلبى ورجف منه فوضع جبريل يده على صدرى فرجعت روحى إلىّ وعقلى) الإسراء والمعراج لابن عباس.

(كيف رأى رسول الله ﷺ موسى يصلى فى قبره.. وكيف صلى بالأنبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى السماوات وسلموا عليه وترحبوا به..)[1] أ. هـ.

وأقول: يا أيها الخازن ـ رحمة الله عليك ـ من حقك أن تحتار لأنك فكرت بعقل متفتح.. لا إعتراضا منك على بعض هذه الأحداث للرحلة ـ ولكنك كنت تريد أن تفهم. وهذا البعض من الأحداث للرحلة، أمور كونية، مازال من الصعب فهمها حتى بعد كل تلك القرون، فما بال القرن الذى كنت فيه؟!

وأقول لشفاء حيرتك هذه: إنك فسرت سبب صلاة النبى ﷺ بالأنبياء فى بيت المقدس ـ بأنه لبيان مراتبهم له. وقلت أن رؤيته لموسى عليه السلام فى قبره يحتمل أنها بعد رجوعه من السماء والأنبياء كالشهداء أحياء..

وأقول: كل هذه الإجابات تجيب عن السؤال (لماذا)..؟

ولكن لاتجيب عن السؤال (كيف)..

كيف صلى النبى بالأنبياء فى الأرض وفى السماء؟ ـ هل صعدوا معه؟!. وكيف هبط من السماء ليجد سيدنا موسى يصلى فى قبره على الأرض وقد كان معه فى السماء؟

وأقول هذا كله حدث: لأن رحلة (الإسراء) أو الإسراء كان فى زمن أرضى.. أى تحت قانون هذا الزمن الأرضى. أما رؤيته للأنبياء فى السماوات فى (المعراج) ـ فهذا كان زمنا آخر!

---

(١) تفسير الخازن ٣/١٥١.

زمن خارج زمن الدنيا حيث أنتهى به المعراج بعد قطع السماء الدنيا بقدرة الله. إنه (زمن مكانه) فى مستقبل الدنيا لم يأت عليها بعد. وصل إليه بالمعراج الذى قطع زمن الدنيا فى طرفة عين وانتقل من (مكانها) إلى مكان بعده هوالآخرة. وبالتوغل والعروج فى المكان والزمان الأخروى بعد السماء الدنيا. رأى النبى مستقبلا للخلق وحسابهم فى السماوات العلى حيث توجد أدوات الحساب من جنة ونار وصراط..

والذى يقول أن هذا مستحيل ـ أقول له: هومستحيل فى قدرة البشر.. أما فى قدرة الله فلا استحالة.. يقول الله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده) أى أنه أسرى به وهو كائن حىّ (عبده).

ويقول الخازن عن هذه الآية:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى(١) ﴾. فى تفسيره لسورة الإسراء: (ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء.. فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط «قلت» لقد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج) أ. هـ.(١).

---

(١) تفسير الخازن ٣/١٤٤.

وأقـول: إذاً هنا بيت القصـيـد.. (المعـراج)! تلك الوسيلة التى بالنسبة لها ـ سرعة الضوء ـ لاشيء! فما هو؟

لن نعرفـه إلا إذا فـهـمنا الكلمـة لغويا ـ فكمـا سبق أن قلت: القرآن الكريم كنز مفتاحه اللغة العربية ـ يقول معـجم «مـختـار الصحاح»:

(يعـرج إليـه: ارتقى «السلم» إليـه) أ. هـ. وهذايعنى العلو. وأقول: أى صعد إليه على درجات.. ويكون إذاً المعراج: مصعد. ومن اسمه: هو يصعد فى خطوط متعرجة أى فى منحنيات. وكما قال الدكتور: محمد جمال الدين الفندى فى كتابه ـ الله والكون ـ صفحة ٣٢٣:

(ولقد تساءلت كثيرا عن السبب الذى من أجله يسمى القرآن الكريم السبح فى الفضـاء الكونى عروجا أو معراجا، إشـارة إلى الإنطلاق فى خطوط متعرجة أو منحنية.. فلما عرفت أن الفضـاء الكونى لايعرف الخط المستقيم[١] على عكس ماصوره إقليدس فى هندسته التى ندرسـها. وأن كل جسم مادى يعبر الفضـاء الكونى «أو حتى الضوء» يسير فى فلك متعرج على هيئة القِطْع الناقص أوالزائد أو المكافيء أو غيرها[٢] قلت سبحان ربى كيف

---

(١)الفضاء المنحنى جزء من نظرية النسبية لأينشتين.

(٢) وعلي هذا فالمعراج يصعد فى منحنيات كونية وليس يصعد فيه الرسول ﷺ كما فهم ذلك المفسرون القدامى مثل «ابن كثير» اذ يقول (وهو «أى المعراج» له دَرج يرقى فيها) / تفسير ابن كثير ٣/٢٣. ويقول ابن عباس عن المعراج (وهو مرقاة من الذهب ومرقاة من الفضة ومرقاة من الزبرجد ومرقاة من الياقوت)/ الإسراء والمعراج لابن عباس وأقول: هذه أربع درجات لسلم ـ =

عرف النبى الأمى تلك الحقيقة منذ أكثر من ١٤ قرنا؟ إنه الوحى الصادق دون شك) أ. هـ.

= وعلينا الانفهم من هذا ان الرسول ﷺ صعد على درج المعراج هذه إلى السماء. فالمعراج هو الذى يدور فى الفضاء وينحنى مع خطوط الفضاء الكونى.ولكن هذه الدرج أو الدرجات هى من تكوين المعراج ذاته (كما يصعد راكب الطائرة إلى داخلها على سلمها أولا ثم تطير ـ أو كما يفعل رواد الفضاء عند ركوبهم «مكوك الفضاء» فيصعدون إليه لمسافة أطول نظرا لعلو المركبات الفضائية لحجمها الضخم الذى يناسب هذه المهمة. ويفهم من هذه الدرجات المادية للمعراج إنه جسم عادى. وعادة سفن الفضاء ـ التى تظهر فى سماء الأرض ـ يكون تكوينها من معادن نفيسة كالياقوت والذهب والماس وغيرها وتزيدها الأضواء بهاء. ويقول الرسول عن المعراج عندما راه (لم أر أحسن من المعراج). وعلى ذلك يكون للمعراج سلم لدخوله ثم بعد ذلك يطير وهذا الطيران يفهم من حديث آخر شريف سيأتى ذكره فيما بعد لمعراج يطير فى السماء وله شكل آخر).

مابعد السماء الدنيا

وكأن النبى بعد اجتيازه السماء الدنيا مباشرة قد رأى من مظاهر الآخرة:

(قال هذه سدرة المنتهى، فإذا أربعة أنهار ـ نهران باطنان ونهران ظاهران ـ فقلت ماهذان ياجبريل؟

قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران، فالنيل والفرات «أو عنصرهما» كما يقال فى حديث آخر) أ. هـ(١)

ورأى الرسول فى رحلته بصحبة جبريل، كيف يعذب العصاة كل عن جنس عمله.. وكانت الصور التى يعتبرها البعض (اسرائيليات) ويتهرب منها البعض الآخر لحد إلغائها (كما فى بعض كتب التفسير). أو يقولون إنها (نماذج) لما سوف يكون فى الآخرة. هذا فى مقابل ألا يقولوا للناس. انتبهوا.. لقد رآكم رسولكم وأنتم فى دار الجزاء، فاعملوا لمستقبل حياتكم هذه ـ الآخرة ـ فهى واقع حى فى انتظاركم، الأمر ما هو إلا أن يحين وقتها. إنه مجرد زمن قطعه رسول الله ﷺ (سريعا)(٢)!

.. ولقد فهم الأقدمون أن مارآه الرسول كان فى الآخرة فعلا. عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن النبى ﷺ قال:

(ثم أدخلت الجنة فإذا بها جنابذ اللؤلؤ..) أ. هـ(٣).

---

(١) تفسير الخازن ١٤٥/٣.
(٢) [ثم صعد بى إلى سماء الدنيا فى أسرع من طرفة عين] الإسراء لابن عباس.
(٣) تفسير الخازن ١٤٦/٣.

وقال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال:

(ليلة أسرى برسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع فى جانبها وخشا فقال يا جبريل ما هذا؟ قال هذا بلال المؤذن، فقال ﷺ حين جاء إلى الناس «قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا» أ. هـ [١].

وأقول: الجنة من شئون الآخرة ورؤية النبى ﷺ لبلال فيها «رغم أنه كان حيا يرزق على الأرض» دليل على أنه رأى (بلال/ المستقبل) ـ ولم يكن بالطبع (نموذجا) له، بل هو عينه، ولكن فى زمن مقبل لم يولد بعد فى الحياة الدنيا القائمة حينذاك.[٢] ولا الآن..وعن ابن عباس أيضا أنه قال:

(ورأى الدجال فى صورته رؤياعين ليس برؤيا منام).وعنه أيضا (وسئل النبى ﷺ عن الدجال فقال: رأيته فيْلمانيا[٣] أقمر هجان. إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب درىّ.كأن شعر رأسه أغصان شجرة) أ. هـ [٤].

وأقول: هذا الدجال لم يكن فى الدنيا حينذاك. ولا هو بميت لنقول هو روح جاء من البرزخ مثلا.. وإنما هو شخص مازال مستقبلا بعيدا عن الأرض. ورآه النبى ﷺ فى مستقبل أبعد، لأنه قطع إليه الزمان!.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥/٣.
(٢) وهناك فرق بالطبع بين رؤية (الغيب) رؤيا عين والعلم به كخبر فقط: المؤلفة.
(٣) الفيْلم من الرجال: الضخم.
(٤) تفسير ابن كثير ١٥/٣.

إذاً الاختلاف بين السلف والخلف يكمن فى تفسير ما رآه النبى ﷺ فى الإسراء والمعراج. فقد ظن السلف أنه قطع المسافات فقط لهذه الرؤى، ولم يقدروا أنه قطع أيضا أزمانا.. ربما لأنهم رآوه يعود فى ليلة واحدة.

وهذه الليلة طوت ليال لايعلم عددها إلا الله سبحانه وتعالى. فهى على الأقل أربعون ليلة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.. هذا بليالى الأرض(١). ثم طويت فيها ليال أخرى فى المعراج إلى السماء بأعداد عظيمة ليس فى مقدور بشر إدراكها(٢)، ولذلك قال تعالى:

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ ويقول المفسرون أن تنكير «الليل» هنا لأنه بعض الليل. وأقول ولماذا لاتسرى عليه قاعدة «التنكير» أيضا، وهى أنه: لغرابته أو عظمه أو كثرته؟. فهو حقا ليل غريب ـ ذلك الذى كان بطول زمن الدنيا، واحتوى لياليها كلها حتى انتهائها ـ ولكن بقطعه بالسرعة التى تمت بها الرحلة فى الفضاء ـ انكمشت أو طويت المسافة فكانت قصيرة!.. فوصل النبى ﷺ قبل أن ينتهى ليل الأرض.. فكانت الرحلة فى بعض ليلها.

كذلك من يتأمل (الكون) الذى بدأ به الرسول رحلته وأنهاها ـ فهو نفسه ليل عظيم، لأن الفضاء الكونى مظلم ـ وكأنه ليل كبير..

والله أعلم بمدى تلك المعجزة التى لم تأخذ من وقت الحاضر كثيرا، وأخذت من المستقبل الكثير.. كذلك فهم الأقدمون أن النبى

---

(١) فى رحلات العرب القدامى.

(٢) الإسراء: السير ليلا فيكون المعراج منه. [فلما انتهينا إلى السماء الدنيا إذا الليل على حاله لم يتقدم ولم يتأخر فركبت «البراق»] حديث الإسراء والمعراج لابن عباس.

ﷺ رأى فى المعراج (ذات) الأشياء والأشخاص..؟ فلم تكن رؤياه لنماذج. ولم تكن الجنة (نموذجا)[1] ولا النار.. ولا السماوات ـ كما كان الأنبياء هم الأنبياء!..[2] وعلى أساس أنها رحلة كانت للمستقبل ـ نوضح بعض النقاط التى جاءت فى الأحاديث المروية لحادثة الإسراء والمعراج:

يجب أن نفرق بين الرؤى والأحداث (الأرضية) التى رآها الرسول ﷺ، فى الإسراء إلى بيت المقدس ـ فهذه الرؤى (حالية) أى كانت تحدث فى الزمن الأرضى ـ كنداء الشيطان له والمرأة العجوز (الدنيا)، وكرؤيته للأنبياء ببيت المقدس مثلا. وبين الرؤى الأخرى فى المعراج إلى السماء فهى (مستقبلية)..

فالأنبياء لم يهبطوا معه من السماوات للصلاة فى المسجد الأقصى فى الإسراء. وفى تفسير ابن كثير قال: أن رسول الله ﷺ قال: (أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل[3] خطوها عند

---

(١) [ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة «فوقها أو يعنى فيها وليس فى جوفها كما نحن فى جوف السماء الدنيا وهى تظلنا» حتى انتهى بى إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير أخضر انعم طير رأيت فقلت يا جبريل إن هذا الطير لناعم قال يا محمد أكله انعم منه، ثم قال يا محمد أتدرى أى نهر هذا؟ قال قلت لا، قال: هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب، والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضا من اللبن قال فأخذت آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك) تفسير ابن كثير ٨/٣.

(٢) [ثم عرج بى إلى السماوات السبع وشاهدت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام]. الإسراء والمعراج لابن عباس.

(٣) [وإذا هو دابة لاتشبه الدواب: فوق الحمار ودون البغل له وجه كوجه ابن آدم وجسد كجسد فرس]. الإسراء والمعراج لابن عباس.

منتهى طرفها(١) فركبت ومعى جبريل عليه السلام(٢). فسرت فقال انزل فصل ـ فصليت. فقال أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة. ثم قال انزل فصل ـ فصليت فقال أتدرى أين صليت؟.. صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى. ثم قال انزل فصل فصليت، فقال أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام. ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء عليهم السلام.. حتى أممتهم ثم صعد بى جبريل إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام، ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها إبنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام.. ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام.. ثم صعد بى إلى السماء الرابعة..) أ. هـ.

وأقول: وسواء.. صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بالأنبياء قبل أو بعد صعوده إلى السماوات فالأمر سيان(٣) لأن وجودهم فى السماوات هو وجود مستقبلى ووجودهم فى الأرض

---

(١) فقال البراق: قد ركبنى آدم صفوة الله وابراهيم خليل الله، نفس المصدر تعليق: قد يكون آدم ركب البراق عند هبوطه للأرض ـ فهل ركب سيدنا ابراهيم أيضا البراق فى السماء الدنيا ليرى نجومها؟ فمن الواضح من رحلة الإسراء والمعراج ـ أن البراق لايصلح للعروج إلى السماوات العلى وإلا كان معراج النبى ﷺ.

(٢) قال البراق: قل لصاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر والخد الأحمر والحوض والكوثر والشفاعة الكبرى فى المحشر أن يدخلنى فى شفاعته، حديث الإسراء والمعراج لابن عباس.

(٣) من سياق حديث ابن عباس رضى الله عنهما، صلى النبى ﷺ بالأنبياء بعد نزوله من السماء، فيكون قد صلى بما أمر به من صلاة فى الإسلام.

وجود حالى، فإذا كان قد قابل الأنبياء فى السماوات.. وقابلهم أيضاً فى الأرض.. وصلى بهم.. فالاختلاف ليس فى المكان فقط، وإنما فى الزمان أيضا.. وهناك العلاقة المؤكدة بين الزمان والمكان، ويجدر بنا قبل معرفة علاقة الزمان بالمكان أن نعرف شيئا عن شكل (السماوات السبع والأرضين السبع) كما يسميها القرآن الكريم وتفسره السنة النبوية الشريفة.. قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾ ـ من الآية ١٢ سورة الطلاق.

إذا كنت قد قلت فيما سبق[1] أن الأرض هى كل ما (سفل) وكان تحت أقدامنا، والسماء كل ما (علا) وكان فوق رؤسنا، وكما قال ذلك أيضا د. محمد جمال الدين الفندى - فى كتابه/ الله والكون - حيث هذا معنى الكلمتين لغويا. وقلت أيضا: السماوات السبع (طباقا) بمعنى أنها كالأطباق[2].. وهى متداخلة.. كل طبق يحوى ما قبله، فستكون السماء السابعة أكبر الأطباق، تحوى الجميع، ويكون ما فى الأولى[3] من أجرام هو فى السابعة ﴿ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٦) ﴾ الاية ١٦ سورة نوح - والشمس والقمر في السماء الأولى.

وإذا تصورنا (أرضنا) وهى فى السماء الدنيا أيضا، داخل هذه الكرة الهائلة من السماوات.. فسوف تمثل السماوات سبع طبقات حولها من كل جانب. وعلى جانبين منها يمثلان (فوق

---

(١) فى الكتاب الثانى من «تفصيل القرآن لآياته الكونية».

(٢) من معانى الطباق.

(٣) [ورأيت النجوم معلقات كتعليق القناديل فى المساجد، أصغر ما يكون منها أكبر من جبل عظيم ثم صعد بى إلى سماء الدنيا فى أسرع من طرفة عين وبينها وبين الأرض خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك]. حديث الإسراء والمعراج لابن عباس تعليق: واضح من وصف النبى للنجوم أنه رآها فى جوف السماء الدنيا قبل أن يصعد إليها أو إلى وجهها الآخر. فكلمة سماء: يعنى أعلى. فهو قد نفذ من باطنها الذى يحوى الكون المادى بما فيه من مجرات وأنجم وكواكب إلى أعلاها أو سطحها الذى لايرى من داخل هذا الكون.
واسم السماء الدنيا بالنسبة لوضعها أدنى السماوات واسم سماء الدنيا لمهمتها.

وتحت): يكون فوق الأرض، أى فوق رؤسنا ـ سبع طبقات من تلك السماوات السبع، وكذلك يكون تحتها (تحت الأرض) أى تحت أقدامنا من الجهة الأخرى للأرض ـ سبع منها. فالسماوات السبع تظلل سبع طبقات هى نصفها الآخر السفلى أو أرضها. وأرضنا تقع فى السماء الأولى بالنسبة لهابط إليها ـ أو صاعد منها. فأى شىء خارجها يكون فى السماء بالنسبة لها، وتكون فى السماء بالنسبة له؟ إذاً الأرضين السبع هى بالنسبة لسماواتها السبع، وكلٌ سماوات. فالتسمية نسبية.. وإذا كنا نحن سكان الأرض فى جوف السماء الدنيا حيث توجد الأفلاك والكواكب، فهى سماء من دخان كما قال عنها رسول الله ﷺ فى صعوده بالمعراج (ورأيت النجوم معلقات.. ثم صعد بى إلى سماء الدنيا .فإذا هى سماء من دخان يقال لها الرفيعة وليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك راكع أو ساجد. ونظرت فيها نهران عظيمان مطردان فقلت ماهذان النهران يا جبريل قال هذا النيل وهذا الفرات عنصرهما) / الإسراء والمعراج لابن عباس.

اكتشاف الدخان

لقد اكتشف العلماء مؤخرا الدخان على حواف الكون المرئى ـ يقول الأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى أستاذ الطبيعة بجامعة عين شمس:

(تم رصد آثار الدخان الأول بواسطة هذا القمر الأمريكى «القمر الصناعى كوب» حديثا باستخدام أجهزة دقيقة قامت بأكثر من ٣٠٠ مليون عملية رصد وتصوير أكدت جميعا وجود كمية ضخمة جداً من الركام أو الدخان الأصلى للمادة الأولية التى نشأ منها الكون وينتشر لمسافة ٩٤ مليار تريليون كيلومتر وعمره حوالى ١٥ مليار سنة منذ ظهر للوجود بعد مرور ٣٠٠ ألف سنة من ميلاد الكون والباقى كان قد تكثف على هيئة مجرات ونجوم وكواكب) ا. هـ[1] وأقول: الكون يمثل جوف أو داخل السماء الدنيا المزيّنة بالأجرام السماوية ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦)﴾ ٦ ـ الصافات. وسمكها كما المسافة بينها وبين الأرض. وكالبعد بين كل سماءين من السماوات السبع. وما نراه من الكون يفوق الخيال فى وسعه. فما قدر هذه السماء وما قدر ما فوقها؟ وهذه السماء كما علمنا هى إطار ونهاية للحياة الدنيا زمانا ومكانا.. فما بعدها أو على ظهرها يخرج عن ذلك، وهو الغيب المطلق.. إلا ما أخبر به النبى ﷺ.

والنبى ﷺ فى رحلته قطع أزمانا دنيوية بقطعه السماء الدنيا

---

(١) عن جريدة الأهرام/ صفحة (فكرديني) فى ٢٢/٥/١٩٩٢.

(أو الكون: داخلها) وأخرى أخروية بقطعه هذه السماء نفسها (أى سمكها) ثم السماوات التالية لها بعد ذلك. بل لقد أفضى إلى أزمان أزلية فوق السماوات السبع. والله أعلم.

وعن السماوات السبع والأرضين ـ يقول النبى ﷺ فى حديث شريف رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه ـ قال:

(بينما نبى الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبى الله ﷺ:

هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا العنان روايا الأرض[1] يسوقه الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه، قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها سقف محفوظ وموج مكفوف، قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بينكم وبينها مسيرة خمسمائة سنة. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عدد سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض[2].

ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:

---

(١) ما يروى الأرض.

(٢) هذه المسافات قد تتحد فى أرقامها الزمنية، ولكن قد تختلف هذه الأرقام فى مدلولاتها الحقيقية نظرا لاختلاف الزمن ونسبيته داخل وخارج الكون. فكل سماء لها يومها السماوى (لأنها تدور) ـ تبعا لاتساعها عما قبلها من سماوات. لذلك يختلف مدلول السنة داخل كل سماء.

فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد مثل ما بين السماءين. ثم قال: هل تدرون ما الذى تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنها الأرض. ثم قال: هل تدرون ما الذى تحت ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال فإن تحتها الأرض الأخرى[١] بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عدد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة) ونكتفى بهذا الجزء من الحديث حيث روى من بعض الرواة مثل: الترمذى وغيره، بإضافات أخرى[٢].

وإذا ناقشنا بعض ماجاء فى هذا الجزء من الحديث (علميا أو يعنى فلكيا) ـ لقلنا:

أولاً: عن عدد السماوات والأرضين

أنه عدد بالنسبة للأرض سبع طبقات فوقها فتكون (سماوات وعدد تحتها سبع مماثلة فتكون بالنسبة لها (أرض). يؤيد ذلك قوله أن السماء الأولى بينها وبين الأرض، نفس المسافة التى بين الأرض والأرض التى تحتها، أى أن الأرض (تحت أرضنا) على نفس الخط المحيط بالأرض من السماء ـ فتقع الأرض داخل دائرة نصفها سماء فوقها ونصفها أرض تحتها ـ كما سبق وأشرت.

ولو كان المقصود بتلك الأراضى تحت أرضنا أنها أجرام مثل

---

(١) لم يقل الأرض الثانية حتى لاتكون كوكبا مثل ارضنالأنها هى اول الأراضين اى باقى السماء الدنيا.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ٣٠٤/٤ ـ والتاج / الجامع للأصول فى احاديث الرسول ٢٥٣/٤.

أرضنا وعلى هذه المسافات المذكورة ـ لوقعت كل أرض منها فى سماء من السماوات السبع المحيطة، ولتعددت بذلك هذه المجموعات (السبعية) من الأراضى فى كل اتجاه فلا معنى حينها لأن تكون أراضى (سبع) بل عدد لانهائى منها لأن كل بقعة من أنحاء الأرض سيقابلها سبع أراض تحت الأقدام للبشر المنتشرين على الأرض (الكرة الأرضية) فوق وتحت وعلى الجوانب. وإذا كانت هى أجرام ـ فلا مكان لها فى السماوات العلى أو مابعد مستوى السماء الدنيا المزينة بالكواكب. الحقيقة تتضح الآن وهى: (السماوات السبع والأراضون السبع) كلها سماوات ـ ولكن التسمية لها أصبحت هكذا (نسبية). يقول تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(١٢) ﴾ ١٢ ـ الطلاق. وبالنظر لكلمة (مثلهن) فهو التطابق والتشابه والمثلية الكاملة ـ فى كل شىء ... وإلا لقال عددهن. فكل قطعة من سماء مقابل لها على الجانب الآخر من هذه السماء الدائرية قطعة أخرى تمثل تحتها أو أرضها ويكون لفظ (الأرض) فى الآية اسم جنس لأنه سبع أراضين أو سماوات تحت سماوات. وفى تفسير الآية يقول الإمام النسفى:

(أجمع المفسرون على أن السماوات سبع وقوله «ومن الأرض مثلهن» بالنصب عطفا على سبع سماوات: قيل ما فى القرآن آية

تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك. والأرضون مثل السماوات) أ. هـ[1].

ويقول أبو هلال العسكرى عن الفرق بين المِثْل والمَثَل:

(أن المِثْلين ماتكافأ فى[2] الذات. والمثل بالتحريك: الصفة قال الله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة ـ وقولك ضربت لفلان مثلامعناه أنك وصفت له شيئا، وقولك مثل هذا كمثل هذا أى صفته كصفته. وقال الله تعالى (كمثل الحمار يحمل أسفارا) وحاملوا التوراة لايماثلون الحمار ولكن جمعهم واياه صفة ـ فاشتركوا فيها) أ. هـ[3].

---

(١) تفسير النسفى على هامش الخازن ٢٨٢/٤.
(٢) يعنى هذا قدر ذاك ومن جنسه (ذاته): المؤلفة.
(٣) كتاب/ الفروق فى اللغة/ ابو هلال العسكرى.

ثانياً: الموج المكفوف

جاء فى الحديث قوله ﷺ: (موج مكفوف) وهذا يشير إلى أمواج (الأشعة الكونية). لكن المفسرين القدامى يقولون: (هو لون السماء كلون البحار) أ. هـ/ التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ٢٥٣/٤.

وإذا كان كذلك ـ مجرد لون ـ فما معنى كفه عنا؟ أى الحفظ منه؟. إنها هى أمواج الأشعة الكونية المهلكة كفت عن الأرض، وحفظ منها أحياء الأرض وسكانها بسقف الأرض المحفوظ ـ وهو الغلاف الجوى أو مستوى السماء المباشر للأرض[1].

(وتنتقل هذه الأشعة فى الفضاء «أو الهواء الجوى» على صورة أمواج تنتشر بسرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فى الثانية» والمقصود بالأمواج تلك الحركة ذات الطابع الخاص بتكرارها على غرار أمواج البحار مثلا. ولكل موجة «كأمواج اللاسلكى مثلا» طول خاص يقاس عادة بالمتر أو السنتيمتر أو فى«حالات الأمواج القصيرة» بوحدة يقال لها «ميكرون» وهى جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر الواحد. وعدد مرات تكرار الموجة فى الثانية يسمى الذبذبة أوالتردد)[2] أ. هـ.

كذلك فى حديث الرسول ﷺ ـ نلاحظ أنه ذكر أن مابين كل

---

(١) وقد تكلمت ـ عن ذلك بالتفصيل في كتاب (خلق السماوات والأرض عند تناولى للآية ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (٣١) ﴾ الآية ٣٢ ـ الأنبياء.

(٢) د. جمال الدين الفندى/ كتاب الله والكون / ١٨٨.

أرضين هو ما بين كل سماءين من البعد ـ مما يدل على أنهما واحد، والفرق فقط فى التسمية كما ذكرت.

وبعد أقول:

فإذا كان العلم الحديث قد توصل لما ذكره القرآن الكريم منذ نزل، وما أبصر به النبى ﷺ فى عروجه إلى السماء ـ من أن السماء الدنيا من دخان ـ فنحن واثقون مما رآه النبى أيضا من نوع مادة السماء الثانية، وباقى السماوات السبع التى لن يتوصل أو يصل إليها العلم فى يوم من الأيام.

ومنها السماء الثانية وهى بالطبع وراء هذا الدخان العظيم، ولايمكن رؤيتها من داخل هذا الكون. هذه السماء يقول عنها وقد رآها أيضا رأى العين فى معراجه بين السماوات - إنها من حديد: (ثم صعدنا إلى السماء الثانية فى أسرع من طرفة عين وبينها وبين سماء الدنيا خمسمائة عام وسمكها كذلك فطرق جبريل بابهافقالوا).. (ودخلنا فإذا هى سماء من حديد لاوصل فيها ولافصل يقال لها الماعون. ورأيت فيها من الملائكة ركبانا على خيل مسوّمة متقلدين بالسيوف، بأيديهم الحراب، فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال: هؤلاء جند من الملائكة خلقهم الله تعالى لنصرة الإسلام إلى يوم القيامة) الإسراء والمعراج لابن عباس

والسماء الثالثة من نحاس:

(فدخلناها فإذا هى سماء من نحاس يقال لها المزيّنة ورأيت فيهاملائكة معهم ألوية خضر فقلت من هؤلاء يا جبريل؟

فقال: هؤلاء ملائكة ليلة القدر وشهر رمضان.. يطلبون مجلس الذكر.. ويسلمون على أهل صلاة الليل) أ. هـ[١].

---

(١) الاسراء والمعراج لابن عباس.

والسماء الرابعة:

(سماء من فضة[1] بيضاء يقال لها الزاهرة[2]. رأيت فيها من عجائب خلق الله عز وجل أصنافا من الملائكة: رأيت ملكا عظيم الخلقة والمنظرقد بلغت قدماه تخوم الأرض السابعة ورأسه تحت العرش وهو جالس على كرسى من نور والملائكة بين يديه[3]. وعن يمينه وعن شماله ينتظرون أمر الله عز وجل..وعن يمينه لوح وعن شماله شجرة عظيمة إلا أنه لم يضحك أبدا. فقلت يا أخى يا جبريل من هذا.. قال جبريل: هذا.. ملك الموت عزرائيل) أ. هـ.

---

(١) هذه الفضة البيضاء وهى فى موقعها هذا قد تكون لهاشكل واسم الفضة المعروفة لنا فى الدنيا ولكن ليس كنهها وكذلك سائر المعادن أو الأشياء التى قد يشار إلى وجودها فى غير هذه الأرض التى نعيش عليها لاختلاف ظروف نشأتها وصياغتها!..وتذكر هكذا بصيغة التنكير مثل الفضة فتصبح (فضة) ليفهم من ذلك (انها ليست المعروفة لديكم): المؤلفة.

(٢) الإسراء والمعراج لابن عباس.

(٣) هذا الحجم الهائل للملك الذى يبلغ طول جسده طول السماوات السبع بل يعلو عليها فتكون رأسه تحت العرش وقدماه يصلان إلى تخوم الأرض السابعة... أى نهاية الأرضين السبع.. ليقول وحده ويبرهن على أن الأرضين السبع لو كانت هى أراض سبع مثل ارضنا لماساوت شيئا ولامثلت أى قياس يذكر بالنسبة لهذا الحجم الهائل غير المتصور فى الحقيقة.. فأرضنا وسبع مثلها لايساوى شيئا فى حجم شمسنا التى هى تساوى مئات الآلاف من أرض مثل أرضنا والشمس نجم متوسط من ملايين الأنجم فى مجرتنا فقط. ومجرتنا واحدة من ملايين المجرات غيرها فى السماد الدنيا، فماذا يساوي هذا بالمقارنة. بالسبع سماوات؟. وكيف يكون نصف الملك فى سبع سماوات حجمها كذلك وقدماه عند سبع أراض حجمها لايكاد يبين؟!. فالمعقول أن الذى احتل نصفه الأعلى سبع سماوات واكثر.. يحتل نصفه الأسفل مثلها وعلى نفس البعد ـ أى الأرضين السبع ـ كشق آخر لتلك السموات السبع.

والسماء الخامسة:

(سماء من الذهب الأحمر واسمها المنيرة ورأيت فيها من خلق الله عز وجل ملكا عظيما لو أمره الله عز وجل أن يبلع السماوات السبع في دفعة لهان عليه لعظم خلقته[١] وهو ينادى: سيدى ومولاى ماعرف قدرك من عصاك سبحانك ما أحلمك على خلقك) الإسراء والمعراج لابن عباس.

والسماء السادسة:

(هى سماء من ياقوتة خضراء اسمها الخالصة «ورأيت فيها من خلقة ربى عز وجل: ملكا عظيما جالسا على كرسى من نور نصفه من ثلج ونصفه من نار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار. وهو ينادى سبحان من ألّف بين الثلج والنار اللهم ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك والملائكة تقول أمين. فقلت ياجبريل من هذا؟ قال هذا ملك خلقه الله ووكله بأكناف السماوات وهو أنصح الملائكة إلى أمتك يدعو لهم بهذا الدعاء إلى يوم القيامة) أ. هـ ـ حديث الإسراء والمعراج لابن عباس.

والسماء السابعة:

(دخلناها فإذا هى سماء من درّة بيضاء يقال لها العجيبة وهى العالية. ورأيت فيها من ملائكة ربى عز وجل ملائكة يقال لهم الروحانيون) أ. هـ ـ نفس المصدر السابق.

---

(١) أى أن هذا الملك اعظم خلقه من سابقه عزرائيل الذى كان فقط طوله طول السماوات السبع والأرضين. هذا يستطيع فى لقمة واحدة بلع نصفها وهو السماوات السبع ـ والله أعلم.

قبل أن نترك التعرف على شكل السماوات السبع والأرضين السبع ـ نسأل: هل جهنم مستعرضة فيهما وتحتل جزءا بين السماوات والأرضين، فتكون كالجب العميق يصل من السماء الخامسة إلى تخوم الأرض السابعة ـ يقول النبى ﷺ عن جهنم «عن حديث ابن عباس»:

(ورأيت بابا عليه سطران مكتوبان يزهران ويلمعان:

لا إله إلا الله محمد رسول الله. فلما قرأتهما سقط القفل[1] وانفتح الباب فنظرت فيه مشرق من السماء الخامسة إلى تخوم الأرض السابعة السفلى وإذا بجهنم مظلمة ممزوجة بغضب الله ودخانها قائم. وإذا بملك عظيم الخلقة مرهب النظر ظاهر الغضب شديد البأس صعب المراس بين عينيه عقدة لو أشرف بها على الأرض لماتوا عن آخرهم وغارت منه البحار وتقطرت منه الجبال. قلت:

ياأخي ياجبريل من هذا الذى اقشعر منه جلدى ورجف منه فؤادى فقال يا حبيب الله هذامالك خازن النار خلقه الله من غضبه وسخطه ولم يزل منذ خلقه الله وولاه جهنم لايزداد إلا غضبا على أعدائه. هذا وملك الموت عزرائيل لايضحك أبدا ـ إدن منه وسلم عليه فدنوت منه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فقال

---

(١) كيف قرأ النبى ـ وهوالقائل (ما أنا بقارىء)؟ ـ أقول هذا يدل على مدى تأهيله لأحداث هذه الرحلة وأن قدراته أصبحت فوق العادية حيث يستطيع أيضا أن يرى ملائكة بأحجام هائلة ويكلمهم.

جبريل لم لاترد على حبيب الله وسيد العالمين وهو أعز الخلق على الله ونبى الرحمة فلما سمع مالك ذلك نهض قائما على قدميه وقال الله الله العذر لك يا حبيب الله فقلت له أرنى جهنم فقال مالك ليس الأمر لى وإذا بالنداء من العلى الأعلى لاتخالف حبيبى محمدا فعند ذلك كشف عنها الغطاء فإذا هى سوداء مظلمة ممتزجة بغضب الله وقيل إن نار الدنيا لها ضياء لأنها غمست فى بحر القدرة سبعين مرة حتى صار شعاع ونور ينتفع به(١) فرأيت فيها سبعين ألف بحر من غسالين وسبعين ألف بحرمن قطران وسبعين ألف بحر من رصاص مذوّب على ساحل كل بحر ألف مدينة من نار فى كل مدينة ألف قصر من نار فى كل قصر سبعون ألف تابوت من نار فى كل تابوت سبعون ألف صندوق من نار فى كل صندوق سبعون ألف صنف من العذاب ورأيت فيها حيات كأمثال النخل الطويل وعقارب كأمثال البغال ورأيت فيها سبعين ألف بئر من الزمهرير ورأيت نساء باكيات حزينات ينادين فلا يجبن ويتضرعن فلا يرحمن فقلت من هؤلاء يا أخى ياجبريل قال هؤلاء اللواتى يتزيّن لغير أزواجهن ورأيت نساء عليهم سراويل من قطران وفى أعناقهن السلاسل والأغلال فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء المستخفات بأزواجهن اللاتي تقول إحداهن لزوجها ما أشنع وجهك وما أقبح شكلك وما أنتن ريحك ألم تعلم بأن الذى خلقها خلقه وهو إله واحد ورأيت نساء

---

(١) حديث: [ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم] ـ رواه الشيخان.

قد احترقت وجوههن وألسنتهن مندلعات على صدورهن فقلت من هؤلاء يا أخي يا جبريل قال هؤلاء اللواتي يقلن لأزواجهن طلقنامن غير سبب ورأيت نساء معلقات من شعورهن ويغلي دماغهن كغلي القدور فقلت من هؤلاء يا أخي ياجبريل قال هؤلاء النساء اللاتي لايغطين شعورهن من الأجانب ورأيت نساء معلقات بشعورهن ومكبلات بثديهن بكلاليب من نار فقلت من هؤلاء ياأخي ياجبريل قال هؤلاء اللاتي كن يرضعن أولاد الناس بغير إذن أزواجهن ورأيت نساء أرجلهن إلى ألسنتهن وأيديهم إلى نواصيهن فقلت من هؤلاء ياأخي ياجبريل قال هؤلاء اللاتى لايحسن الوضوء قذرات الثياب والجسد لا يغتسلن من الحيض والجنابة ويتهاون فى صلاتهن حتى تفوت ورأيت نساء صما بكما عميا فى تابوت من نار يخرج من دماغهن مثل الدهن من مناخيرهن وأبدانهن منتنة تتقطع من الجذام والبرص فقلت من هؤلاء ياأخي ياجبريل قال هؤلاء اللاتى أولادهن من غير أزواجهن ورأيت نساء معلقات من أرجلهن فى تنور من نار فقلت من هؤلاء ياأخي ياجبريل قال هؤلاء اللاتى يشتمن أزواجهن ورأيت نساء سود الوجوه يأكلن أمعاءهن فقلت من هؤلاء ياأخي يا جبريل قال هؤلاء القوادات اللاتى يجمعن بين اثنين علي الحرام ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبدن الحمار وعليها ألف نوع من العذاب فقلت من هذه المرأة ياأخي ياجبريل قال هذه النمامة التى توقع العداوة بين زوجها والجيران وتسعى بين الناس بالنميمة والكذب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فوقها وتخرج من تحتها والملائكة يضربون رأسهابمقامع من حديد فقلت من هذه ياأخي

ياجبريل قال هذه المحرّشة بين الناس بالبغضاء ورأيت رجالا منقلبين على وجوههم وعلى ظهورهم صخرة من نار والملائكة يضربونهم بمقامع من حديد فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء اللوطية الذين يأتون الذكران من العالمين ورأيت رجالا ونساء مصفدات بأصفاد من نار وجباههم قد اسودت والحيات مطوقات بأعناقهن تلدغهم فتُهْرى لحومهم ثم يعودون خلقا جديدا فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله ورأيت أقواماً بين أيديهم لحم طيب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويتركون الطيب فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء الذين تكون لأحدهم امرأة فيتركها ويميل إلى الحرام والتى تكون مع زوجها بالحلال وتميل إلى الحرام ورأيت رجالاً ونساء ردّت أقبالهم إلى أدبارهم وأدبارهم إلى أقبالهم والمقامع ترشقهم والملائكة تسحبهم على وجوهم كلما ضربوا تلهب فى أجسادهم النار فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء الذين يستكبرون على الناس بغير الحق ألا ترى أن إبليس لما استكبر على آدم فقال أناخيرمنه تقطعت أجنحته وخرج من الجنة ملعونا ورأيت رجالا ونساء سفافيد النار تدخل فى أدبارهم وتخرج من أفواههم فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء الهمازون اللمازون الغمازون ورأيت رجالا يرمون بشهب من نار فتقع فى أفواههم وأبصارهم وتخرج من أقفيتهم فقلت من هؤلاء يا أخى ياجبريل قال هؤلاء الذين يبهتون الناس ويرمون بينهم الفتنة ورأيت نساء معلقات بشعورهن فى شجرة الزقوم والحميم يصب عليهن فتهرى لحومهن فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء النساء اللاتى

كانوا يشربون الأدوية حتى يقتلن أولادهن خوفامن مطعمهم ومشربهم وتربينهم ألم يعلمن أن الله يطعمهم ويسقيهم وقد قال الله وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ورأيت نساء مقيّدات بقيود من نار وقد فتحت أفواههن ولهيب النار يخرج عن بطونهن فقلت من هؤلاء يا أخى ياجبريل فقال هؤلاء المغنيات اللاتى يمتن من غير توبة ورأيت نساء على رؤسهن قطران والحيات تنهشهن فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل قال هؤلاء النواحات بالكراء اللاتى يفعلن مانهى الله عنه وقد متن من غير توبة ورأيت رجالاً ونساء في السعير والنار لها دويٌ فى بطونهم تدخل من أدبارهم وتخرج من أفواههم فقلت من هؤلاء ياأخى يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ورأيت رجالا ونساء يسقون من القيح والصديد كلما حصل فى بطونهم شىء تمزقت جلودهم ثم يعودون خلقا جديدا فقلت من هؤلاء يا أخى ياجبريل فقال هؤلاء الذين يلقون العداوة بين الناس ورأيت نساء قد مسخن وأجسادهن سود كالقطران فقلت من هؤلاء ياأخى ياجبريل:

فقال هؤلاء اللواتى يصبغن شعورهن ويغيّرن خلق الله ورأيت النار وأهوالها وعقابها شديد لا تقوى لها الحجارة ولاالحديد ورأيت فيها أهوالا فداخلنى منها رعب على ضعاف أمتى وإذا بأكثر أهلها النساء ثم انطبق الباب وعاد كما كان ونظرت إلى السماء الخامسة وما فيها من العجائب ثم إصطفت الملائكة وتقدمت وصليت بهم ركعتين ثم ارتقينا إلى السماء السادسة) أ. هـ.

وبعد أن تعرفنا على موضع جهنم من السماوات السبع والأراضين السبع وما هو فيها ـ أعاذنا الله منها ـ نتعرف على الجنة وموقعها من السماوات السبع والأراضين السبع. والله سبحانه يقول ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين (١٣٣) ﴾ ١٣٣ ـ آل عمران.

وقوله تعالى (السماوات والأرض) يجعلنا نتوقف عند كلمة (الأرض) اسم الجنس الذى استخدمه العرب للجمع والمفرد ولم يستخدموا مفرده (أرضة). ولذلك يتحدد مقصود لفظ (الأرض) من لفظ (السماوات). فالأرض الواحدة (الأرضة) يقابلها سماء واحد (لفظا).. وإن كان هو كل مافوقها فى الواقع لأن (سماء) أيضا اسم جنس. يقول تعالى: ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور (١٦) ﴾ ـ الآية ١٦ ـ الملك.

والله عرشه خارج السماوات السبع. والسماوات يقابلها أراضون وإن ذكرت هذه الأراضون بلفظ (الأرض) فإذا كانت السماوات المذكورة، فى الآية مقصودا بها السماوات السبع ـ كانت (الأرض) مقصودا بها الأراضين السبع المقابلة لها فقط. أما إذا كانت السماوات والأرض تذكران بقصد مطلق (السماوات والأرض) كما نرى فى الآية أى بدون تحديد لعددها.. فقد يؤول المعنى والقصد من ذلك إلى عموم (السماوات والأرض) فى

ملكوت الله.. ومنها السماوات والأرض الخاصة بالكون المادى فقط (جوف السماء الدنيا) حيث لكل أرض يعنى (أرضة) أو جرم أرضي سماء من منظوره للسماء الدنيا كما نرى نحن السماء من أرضنا. وبذلك تتعدد تلك السماوات لأراض مثل أرضنا فى الكون الذى نعيش فيه ونتظر سماءه. ولكن مجموع تلك السماوات لتلك الأراضي هو السماء الدنيا التى نراها ببروجها ومجراتها. وتكون الجنة المذكورة فى الآية بوسعها أى بوسع السماء الدنيا أو هى وغيرها من سماوات لذكر مطلق (السماوات والأرض) ـ بدون تحديد. (أثبت حساب الاحتمال الرياضي فى هذا العصر أن مجرتنا وحدها «أو الطريق اللبنى أو طريق التبانة كما يسميه العرب» فيها ما لايقل عن مليونى كوكب مسكون[1] على غرار الأرض، وأننا كلما اقتربنا من مركز المجر كانت تلك الكواكب أقدم من الأرض، ومن ثم فإن حضاراتها أعرق وأكثرتقدما) أ. هـ[2].

ويقول الله تعالى ﴿ومن آياته خلقُ السموات والأرض وما بث فيهما من دابةٍ وهو علىٰ جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩)﴾ الآية ٢٩ ـ الشورى.

---

(١) وفى الكون كله حوالى مائة ألف مليون كوكب فى مثل ظروف ارضنا.

(٢) كتاب/ الله والكون/ د. جمال ادين الفندى ص ٣٠٢.

ملحوظة: من المعروف أن مجموعتنا الشمسية وفيها ارضناتقع على اطراف المجرة وأن فى الكون حوالى ١٠٠ بليون مجرة ـ ولكن د. جمال الدين الفندى يقول: (وتتعدد المجرات فى خضم الفضاء الكونى الفسيح ولاتكاد نعرف لها عددا.. وهكذا تتعدد مجموعات الكواكب المسكونة فى الكون بحيث يعجز العقل عن وصفها أو تحديدها) المصدر السابق.

وبالطبع مـــايكون فى الســمــاء الدنيــا.. يكون فى قلب السماوات السبع والأرضين السبع بحكم إلتفاف هذه السماوات حول السماء الدنيا بشقيها السماوى والأرضى وهو ما يمثل الكون الزاخر بالمجرات والمخلوقات المادية. ونلاحظ أن قوله تعالى فى الآية السابقة تعبير (السماوات والأرض) بدون تحديد، وهو ما نقوله: من أن إطلاقه يعنى السماوات والأرض الكونية بمفردها أو وهى داخل السماوات العلى أو عموم السماوات والأرض الغير منظورة لنا. وعن الكون المنظور هذا يقول تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ(١٠١) ﴾ الآية ١٠١ ـ يونس.

فهو بذلك يعنى السماوات الكونية وأراضيها خاصة دون غيرها من مطلق السماوات والأراضين الملتفة حولها وهى فيها. ويمكن اعتبار مجموعة (السماوات والأرض) هذه الكونية بطريقتين: إما هى مجموعة أراض وسماواتها التى حاصل جمع عددها هو السماء الدنيا. أو ننظر إليها كأرض واحدة هى أرضنا وماحولها أي (الأراضى الأخرى وسماواتها). وهذه الأراضى الأخرى هى من تكوين السماء لأرضنا فهى من جملة سماء أرضنا لأنها خارجها وحولها.. والنتيجة لهاتين النظرتين واحدة ـ فهناك أراضى متعددة فى الحقيقة وسماوات لها متعددة بعددها إذا ذكرت كأراض (بذكر السماوات). أما إذا لم تذكر هكذا كانت سماء أو من جملة السماء لأرضنا كما تقول الآية التالية عن عرض الجنة أيضاً:

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ٢١ ـ الحديد.

وقوله تعالى (السماء والأرض) فقط فهى أرضنا وسماؤها التى تضم الأراضى الكونية الأخرى وسماواتها.. ولكن بدون تفصيل لذلك. وقد تتسع لتضم أيضا ماهوفوق هذا المستوى وماهو تحته لشمول اسم الجنس سماء وأرض وبذلك يؤول عرض الجنة المشار إليها فى الآية كسابقتها - إلى عرض أو وسع السماء الدنيا من داخلها ومن خارجها أيضا حتى وسع سبع سماوات وأرضين. وهذه الجنة الشاملة هى فى تفصيلها متعددة: جنة عدن.. جنة المأوى..الفردوس الأعلى.. وغير ذلك من الجنات التى أشار إليها القرآن، وربما تكون جنة المأوى هى التى رآها النبى ﷺ ودخلها أعلى السماوات فى طوافه فى رحلة الإسراء والمعراج إذ يقول فى حديث الإسراء:

(فقال جبريل يا رضوان خذ بيد حبيب الله وأره الجنة وما أعد الله له ولأمته فأخذنى وأدخلنى الجنة فنظرت فإذا أرضها بيضاء مثل الفضة وحصباؤها من اللؤلؤ والمرجان. وترابها المسك ونباتها الزعفران وأشجارها ورقة من فضة وورقة من ذهب والثمار عليها مثل النجوم المضيئة والعرش سقفها والرحمة حشوها والملائكة سكانها والرحمن جارها[1] أ.هـ.

---

(١) سبق أن قلت أن النبى ﷺ رأى فى الجنة من أخبر عنه بأنه بلال المؤذن. والآن هو يقول عن الجنة أن الملائكة سكانها - أقول: كلها (لقطات) زمنية أراها له ربه حسب توغله فى الزمن: ففى هذه المسافات (التى فوق حسابات البشر) بين السماوات السبع وفيها - يختلف الزمن وتصبح لكل رؤية زمن. ومن هذه اللقطات الزمنية: انتظار سيدنا جبريل لسيدنا محمد فى عودته من الأفق الأعلى إلى سدرة المنتهى ٤٩٠٠ مليون سنة - كما سوف نعلم.

ويكمل كلامه عن تلك الجنة قائلا:

(فأخذ رضوان بيدى وسرنا بين أشجارها وما فيها من سرر وعيون وحورعين وأبكار وقصور عاليات وولدان كأنهم الأقمار وخدم وحشم وكرم وإنعام ونعيم ومقام وخلود وسعيد ودوام وفرح فى جوار الملك العلام ورأيت قبة من لؤلؤة بيضاء معلقة بلا علاقة تحملها أو تمسكها لها ألف باب من الذهب الأحمر على كل باب ألف وضيفة ورأيت داخل القبة ألف مقصورة فى كل مقصورة ألف غرفة فى كل غرفة ألف سرير على كل سرير ألف فراش من الإستبرق بين كل فراش وفراش نهر من ماء يجرى وفوق كل فراش حورية تحيّر الناظر وتدهش الخاطر فرفعت متعجبا وإذا بالنداء من العلى الأعلى:

أتتعجب من ذلك يا محمد انظر إلى صدر القبة ترى العجب فتأملت فإذا هى مد البصر وإذا فيها قبة من الزمرد الأخضر وفيها سرير من العنبر الأبيض مرصع بالدرّ والجوهر عليه جارية كحلاء نجلاء شكلاء دعجاء أحسن من الشمس والقمر وأين للشمس والقمر حسن وملاحة مثل ما لها. خلقها الله من قدمها إلى ركبتيها من الكافور الأبيض ومن ركبتيها إلى صدرها من المسك الأزفر لها ألف وستمائة ذؤابة من الشعر لو أشرفت على أهل الأرض لأضاء من خنصرها المشرق والمغرب ولو بصقت فى البحر الملح لأصبح عذبا فقلت ياأخى ياجبريل لمن هذا النعيم العظيم والعطاء الجسيم فقال ياحبيب الله هذا لمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا.

ورأيت نعيماً وملكاً كبيراً ورأيت فيها سبعة أنهر نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل ونهر من السلسبيل ونهر من الرحيق ونهر من التسنيم ونهر الكوثر) الإسراء والمعراج لابن عباس.

والآن وبعد أن تعرفنا على شكل السماوات والأراضين وما فى الجنة والنار ـ نعود لنعرف علاقة الزمان بالمكان (والزمان والمكان مخلوقان من مخلوقات الله) وتأثير هذه العلاقة على أحداث رحلة الإسراء والمعراج التى كان مسرحها السماوات والأراضين.

علاقة الزمان بالمكان

العلاقة بين الزمان والمكان علاقة عضوية لاإنفصام لها (إذ أن الحوادث التى تتم فى نفس المكان ولكن فى أزمنة مختلفة فى جهاز بالذات مثل الأرض انماتتم في أمكنة مختلفة عند رصدها من جهاز آخر يتحرك بالنسبة إلى ذلك الجهاز.

وعندما نبدل كلمة «مكان» الواردة في الجملة السابقة بكلمة«زمان» تصبح العبارة كالتالى:

(إن الحوادث التى تتم فى نفس الزمان ولكن فى أمكنة مختلفة فى جهاز بالذات إنما تتم فى أزمنة مختلفة عند رصدها من جهاز آخر يتحرك بالنسبة إلى ذلك الجهاز[1] أ. هـ.

وإذا طبقنا هذه الحقيقة العلمية على رحلة الإسراء والمعراج أقول: الرسول عليه الصلاة والسلام تحرك بين مكانين مختلفين هما الأرض والسماوات. وكانت هناك حوادث تحدث فى الأرض وفى السماوات فى ذات الوقت تقريبا أو بفارق زمنى بسيط ـ لكنها كانت فى الحقيقة فى زمانين مختلفين تماما، الفارق بينهما هو مقدار ما قطعه الرسول ﷺ من مسافات لها أزمنة تقدر ببلاين السنين فى الواقع. ومن هنا كانت الصلاة بالأنبياء فى السماوات والأرض ليس الاختلاف فيها فى المكان فقط.. وإنما كان فى الزمان أيضاً[2]..

---

(١) كتاب/ الله والكون/ د. محمد جمال الدين الفندى ـ ص ٣٩٩.

(٢) [ثم قدمنى جبريل عليه السلام وصليت بهما «سيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهما السلام» ركعتين على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ثم صعدنا إلى السماء الثالثة] الإسراء والمعراج لابن عباس.

فالأنبياء على الأرض صلى بهم الرسول ﷺ وليس بينه وبينهم إلا حاجز البرزخ وهو يمثل (مكانا).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾: يدل على أنهم قريبون لنا لو أعطينا القدرة لشعرنا بهم - لكن لولا حاجز البرزخ. وهذا الحال بالطبع على الأرض لوجودنا فيها، فلن نشعر بمن هو أبعد من ذلك حسّيا.. ويقول تعالى عن الشهداء أيضاً ﴿ أَحْيَاءٌ[1] عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾ - من الاية ١٦٩ - آل عمران.

وعندما قطع الرسول السنوات الطويلة التي طواها الله له بالمعراج، فقد وصل إلى مرحلة مستقبلية في حياة الأنبياء في السماوات، فأنبياء الأرض في مرحلة، وأنبياء السماء في مرحلة زمنية أخرى[2].

---

(١) في الوقت الذي هم فيه بيننا شهداء: هم في ملكوت الله «عند ربهم» أحياء.

(٢) [فقال: ياجبريل من هذا؟. قال: موسى. فقال: فما له يبكي؟

قال (موسى): يزعم بنواسرائيل أني أكرم بني آدم على الله عز وجل.. وهذا رجل من بني آدم خلفني في دنيا وأنا في أخرى] تفسير ابن كثير ١٩/٣.

الغيب

أقول: إن الماضي والحاضر والمستقبل تقاسيم نسبية لمخلوقات لها بداية ونهاية، أما بالنسبة لربهم الدائم فكل الأوقات دائمة لاغيب فيها سواء مضت في حياة الناس أو حضرت أو لم تحضر بعد.

لذلك ما رآه النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج لم يكن (صوراً) للمستقبل بل كان هو المستقبل نفسه بذات الأشياء والأشخاص أشهده الله إياه.. وأطلعه عليه. وهو ما يسميه الله بالنسبة لنا (الغيب) لأنه الآتي الذى بيننا وبينه الأزمان القادمة التي قطعها النبي. وسيطلع العباد على (مستقبلهم) الأخروى هذا .. بمجرد انتقالهم من حياتهم الدنيوية، وأيضا بالمعراج!. حيث يطوون زمن الدنيا ليروا مقاعدهم من الجنة أو النار.. (عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ثم أتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج. أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء ـ فإنما يشق بصره طامحا إلى السماء عجبه بالمعراج.. فصعدت أنا وجبريل..) أ. هـ[1].

ويقول رسول الله ﷺ (من مات فقد قامت قيامته) أ. هـ.

وفى رؤية منامية: أطلع رجلان النبي ﷺ على ما أعدّ الله له. ولما سألهما قالا: (أنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك) قال:

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢/٣.

(فرفعت رأسي[1] فإذا فوقي مثل السحاب ـ قالا: ذاك منزلك قلت دعاني أدخل منزلي. قالا:إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك) رواه البخارى[2].

وبعد: فلن نخوض في هذا المجال أكثر من ذلك لقصور عقولنا عن إدراكه فرحلة الإسراء والمعراج عامة هي من (الحقائق الصعبة أو المستحيلة) كما سميتها في كتابي/ العالمين. ذلك لمشقتها على فهمنا وعلمنا في العصر الحالي.

تعليق على ما جاء سابقا في الكتاب

المقصود من كل ماسلف:

هو البحث عما يقرّب رحلة الإسراء والمعراج إلى عقولنا بشكل محسوس فلا ننكرها كواقع ممكن لحقائق موجودة وإن كانت وراء الزمن.. وتبقى بعض التوضيحات في هذا الشأن ـ فمثلا الاشارة لقانون (تحرك الأجسام في الفضاء) هو أيضاً لنقيمه كمثل لتقريب الرحلة إلى الأذهان.. ولايعني ذكره أن النبي ﷺ قد سار طبقا لمقتضياته، فهو قانون (نظرى حيث استحالة انتقال جسم مادى عبر الفضاء ـ كما يقول علماء الفلك ـ بسرعة أكبر من سرعة الضوء أو حتى بسرعته).

وهذا يوضح أنه إذا كان المعراج يتحرك بسرعة أكبر من

---

(١) في الجنة التي رآها في المنام (ورؤيا الأنبياء حق).

(٢) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ٣٠١/٤.

سرعة الضوء فهو لايخضع لقوانين الكون المعروفة ـ لصعوبة ذلك كتطبيق ـ كما أشرت سابقا(١).

وهنا جاءت المعجزة الإلهية وارادة الله لتطبقه مع هذه الإستحالة ـ وبالرغم من ذلك فالإستحالة ليست فى الانتقال عبر الفضاء الكونى. إنما الاستحالة الحقيقية كما ذكرها الله العالم بخلقه وما أودع فى سماواته ـ هى فى النفاذ من هذا الكون المادى أى من أقطاره أو أطرافه لما فوقه أو خارجه: خارج الزمن الدنيوى (السماء الدنيا)(٢). وهذا ما حدث للنبى الأمى ﷺ ـ بلا

---

(١) فى القرآن الكريم نجد القانون أو الحكم (السماوى) للتحرك في الفضاء، تشير إليه الآيتان: ﴿ من الله ذي المعارج (٣) تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤) ﴾ الآية ٣، ٤ ـ سورة المعارج. والملائكة يطوون الزمن لسرعتهم الفائقة بمعارجهم ليقطعوا (الخمسين ألف سنة) فى وقت قصير للغاية.. (ولو كان الملائكة يقطعون هذه الآلاف من السنين بأجنحتهم بدون معارج لأخذ جبريل سيدنا محمد على جناحه وما استعملا المعراج). وسيدنا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبى ﷺ ليرسل إليه أمر الله فى مسألة يكون قد مر عليها ساعات وليس اياما أو سنوات.

إذاً سرعة التحرك فى الفضاء تطوى الزمن وتجعله قصيراً بقدرة الله فإذا خرج النبى فى زمن مامن الأرض للسماء فهو يصل فى زمن آخر متقدم. وإذا غادر السماء فى هذا الزمن المتقدم وعاد إلى الأرض، عاد إلى الزمن المتأخر عليها طاويا أيضا السنين.. فى عكس التقدم السابق الذى سبق به الزمن على الأرض.. وسأعود لشرح هذا الأمر فيما سيأتى.

(٢) أشرت إلى ذلك فى باب (الغزو وراء السماوات) عند تناولى للآيات ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (٣٣) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٤) يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) ﴾ سورة الرحمن. وذلك فى كتاب / العالمين. لأن السموات والأرض فى الآيات تشير إلى السماوات والأراضى الكونية فى الكون المادى (داخل السماء الدنيا) حيث سماء كل أرض فى هذا الكون=

استخدام لعلم بشرى فوصل الآخرة زمانا ومكانا.. بالرغم من وجود الدنيا وبقاء الأرض لم تبدل بعد..

يقول تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات(١) وبرزوا لله الواحد القهار (٤٨) ﴾ الآية ٤٨ ـ سورة إبراهيم.

وبالطبع سيكون هذا فى نهاية الكون المادى: السماء الدنيا أو الدنيا.

(والبراز لغويا: الفضاء. ويبرز: حصل فى البراز وذلك أن يظهر بذاته كلها ـ والمعنى وخرجوا من قبورهم إلى الفضاء) أ. هـ(٢). وأسأل: هل القيامة هى (الإنسحاق العظيم) للكون كما وصفه أينشتين ليعود كما بدأ (بيضة كونية) أو أرضا واحدة؟، يقول تعالى ﴿ يوم نطوي السماء(٣) كطي السجل للكتب كما بدأنا أول(٤) خلق نعيده (١٠٤) ﴾ الأنبياء ـ ١٠٤.

= وعددها احتمالاً (مائة الف مليون أرض لها نفس ظروف أرضنا) هذه السماء لكل أرض منها ـ هى باقى الكون حولها. والخروج من هذه السماء أو النفاذ منها هو نفاذ من الكون كله. ولأن الذى ينفذ من الشىء: يكون داخله، ولا أحد من الإنس والجن فى السماوات العلى..؟ ـ لذلك أقول: هى سماوات وأراضى داخل الكون الذى تمثله السماء الدنيا، وأيضا هذه المخلوقات التى تحاول النفاذ.. مخلوقات مادية موطنها الدنيا التى تحتضنها هذه السماء. والله أعلم.

(١) فى الكون المادى (السماء الدنيا) لبقاء السماوات الأخرى بما فيها من جنة ونار.

(٢) الخازن ٣/٧٤.

(٣) السماء الدنيا.

(٤) أشرت فى كتاب (خلق السماوات والأرض) إلى هذه البيضة الكونية بما =

ونسأل أيضا: هل البروز للفضاء هو الخروج أوالبعث للأحياء من هذه البيضة الكونية أوالأرض الواحدة إلى فضاء السماوات العلى حيث ساحة القضاء والحساب؟ أم القيامة شيء آخر وأنهم سيخرجون قبل هذا التغيير والتبديل. فحرف (الواو) في كلمة وبرزوا) لايفيد الترتيب وإن كان يفيد التغيير.

وفى تفسير هذه الآية (يوم تبدل الأرض) يقول الخازن: (قلت وجه الجمع بين الآيتين[1] أن الأرض تبدل أولا صفتهامع بقاء ذاتهاكماتقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط: أخرجه مسلم.

= ذكره ابن عباس عن بداية خلق السموات والأرض بما معناه ان الله بدأ هذا الخلق بخلق (جوهرة) طولها عشرة الاف سنة وعرضها ألفا. وأنه نظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت وثار منها نار ودخان فارتفع الدخان فكان سماء. وتجمع زبد فوق الماء فكان منه الأرض. وكما نرى: هذا الكلام لابن عباس عن النبى ﷺ لايخرج عن قول المحدثين من العلماء عن خلق الكون فى بدايته ووجود الدخان الذى مازال فى السماء هو والإشعاع الناتج عن الانفجار الأول للبيضة الكونية أو (الجوهرة) هذه، كذلك يشير العلماء أن (البيضة الكونية) كانت بيضة من نار. كذلك من الغريب أن يذكر ابن عباس المسافات الفضائية بالسنوات ـ كما يفعل علماء الفضاء والفلك اليوم. فلا فرق بين العلم الصحيح وما جاء به الدين فى الآيات الكونية ـ إذا فهمت.

(١) هذه الآية والآية (يومئذ تحدث أخبارها) ـ الزلزلة، وهو أن تحدث بكل ماعمل عليها / تفسير الخازن ٣/٨٧.

وروى ثوبان أن حبرا من اليهود سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال: هم في الظلمة دون الجسر. ذكره البغوي بغير سند.

ففي هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه) أ. هـ[1].

---

(١) تفسير الخازن ٣/٨٧.

حول الإسراء والمعراج مع السلف

وبعد: فإذا كنا قد حاولنا الأقتراب من حقيقة أحداث رحلة الإسراء والمعراج.. فلنعودة مع علمائنا القدامى حولها فى بعض النقاط فمثلا:..

١ ـ هناك حادثة يسوقها(ابن كثير) فى تفسيره لسورة الإسراء ضمن سرده لأحاديث الإسراء والمعراج ـ تميط اللثام عن جسم مايتحرك فى الفضاء بشكل يكاد يكون معروفا ومتصورا لنا الآن.. ولكن ابن كثير يقول عن هذا الحديث، ربما هو يتناول واقعة غير الإسراء والمعراج. والحديث يقول:

(عن محمد بن عمير بن عطارد أن النبى ﷺ كان فى ملإ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت فى ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكرى الطير فقعد فى أحدهما وقعد جبريل فى الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الأفق فلو بسطت يدى إلى السماء لنلتها فدلِّى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشيا عليه) أ.هـ.[١]. ومادام هذا الحديث لايعبر عن واقعة الإسراء والمعراج نكتفى بهذا الجزء منه ونتركه من هذه الناحية ولكن نتأمل الفقرة نفسها من الحديث ففيها دلالات تستدعى النظر والتفكير مثل قوله ـ الشجرة (أو ما يبدو كذلك.. فكأنه بالنسبة لنا فى هذا العصر جسم أسطوانى فضائى كما يرى فى أجواء الأرض الآن).. وقوله: وفيها مثل وكرى الطير (أى كوتين ـ وهى صورة لاتختلف عما

(١) تفسير ابن كثير ٦/٣.

نعرفه فى هذا العصر الفضائى إلا فى التعبير!. ثم قوله (فدلي) يدل على أنه أصبح فى حالة (انعدام وزن)، خاصة وأن بقية الحديث تصور لنا وضعا من الأوضاع التى يكون عليها رواد الفضاء داخل مركباتهم الفضائية نتيجة انعدام الوزن فى الفضاء الخارجى بعيدا عن جاذبية الأرض - حيث قال:

(فأوحى إلى نبيا ملكا أو نبياً عبدا وإلى الجنة ما أنت فأومأ إلىّ جبريل «وهو مضطجع» أن تواضع) أ. هـ.

وأقول: على كل حال ربما تكون رحلة (تدريبية) للرسول عليه الصلاة والسلام على (ريادة) الفضاء قبل رحلة الإسراء والمعراج، كما يحدث لرواد الفضاء فى وقتنا الحا[illegible] الأعلى - ونتأمل (لغويا) فى الفقرة ذاتها قوله: (فنشأت بنا) الذى يفهم منه: أن تكون ارتفعت على مراحل متصاعدة أو متدرجة فى الارتقاع. وهذا يذكرنا بما يحدث للنشء الصغار من حيث استطالة قاماتهم بمرور الأيام وارتفاعها. إذاً الانشاء هذا هو ما عرّفته سابقا[1].. بالإنشاء المرحلى، أى الإرتقاء عموما على مراحل. وقلت (إذا كان الخلق[2] هو البداية، والجعل[3] والتسوية هما النهاية لكل مخلوق.. فإن الانشاء هو الطريق الموصل بين البداية والنهاية) أ. هـ.

---

(١) عند الكلام عن كلمة (انشأ) فى الكتاب الأول من مجموعة: (من تفصيل القرآن فى آياته الكونية) - ومع خلق. وجعل وسوى.

(٢) الخلق (لغويا): التقدير - وهو للتكوين الأول مثل معنى قوله تعالى ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ⑦﴾ من الآية ٧ - السجدة.

(٣) الجعل (لغويا): التحول - وهو للتكوين التالى بعد البداية مثل معنى قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨) الآية ٨ - السجدة.

٢ ـ عن ماهية الاسراء والمعراج وهل كان بالبدن والروح أم بالروح فقط.. وهل كان يقظة أم مناما؟:

(فالأكثرون من العلماء: على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لامناما ولاينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد يقظة لأنه كان ﷺ لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

والدليل على هذا قوله تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله» فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلوكان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه.

وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال «أسرى بعبده ليلا» وقد قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ(٦٠) ﴾.

قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به[1] والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم. وقال تعالى «مازاغ البصر وماطغى» والبصر من آلات الذات لاالروح وأيضا فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وإنما يكون

---

(١) والعرب قد استعملوا لفظ (الرؤيا) فى الرؤية البصرية أى فى اليقظة. كما استعملوا نفس اللفظ (الرؤيا) فى الرؤية المنامية (الأحلام)/ عن كتاب اسرار الإسراء والمعراج/ محمد فهمى عبدالوهاب.

هذا للبدن لا للروح لأنها لاتحتاج فى حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم) أ. هـ[١].

٣ ـ وعن قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ سورة الكوثر. وقد رآه النبى وشرب منه فى رحلة الإسراء والمعراج ـ قال الخازن:

(الكوثر نهر فى الجنة أعطاه الله محمدا ﷺ وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته. وقيل الكوثر «الخير الكثير» كما فسره ابن عباس. عن أبى بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير أناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد: النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه. وأصل الكوثر (فوْعل) من الكثرة. والعرب تسمى كل شىء كثير فى العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا.

عن أنس قال بينا[٢] رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال أنزلت علىّ آنفاً سورة فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣) ﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟

قلنا الله ورسوله أعلم. قال فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل ـ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣/٣.

(٢) بينما.

خير كثير ـ هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء[1]، فيختلج[2] العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى، فيقول ماتدري[3] ما أحدث بعدك ـ لفظ مسلم والبخارى أ.هـ[4].

---

(١) عن أبى ذر رضي الله عنه:
«فى رواية أخرى» عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية. انية الجنة من شرب منها لايظمأ. آخر ما عليه يشخب فيه مزابان من الجنة. من شرب منه لم يظمأ. عرضه مثل طوله.

(٢) يختلج: يضطرب عندما يناوله الرسول ﷺ انية ليشرب منها فلا يستطيع الشرب.

(٣) وفى رواية أخرى:
«ليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون إلىّ فأقول رب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى ملك فيقول: وهل تدرى ماأحدثوا بعدك ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه».

(٤) تفسير الخازن ٤/٤١٤.

الإسراء والمعراج في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوىٰ (١) ما ضل صاحبكم وما غوىٰ (٢) وما ينطق عن الهوىٰ (٣) إن هو إلا وحي يوحىٰ (٤) علمه شديد القوىٰ (٥) ذو مرة فاستوىٰ (٦) وهو بالأفق الأعلىٰ (٧) ثم دنا فتدلىٰ (٨) فكان قاب قوسين أو أدنىٰ (٩) فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ (١٠) ما كذب الفؤاد(١) ما رأىٰ (١١) أفتمارونه علىٰ ما يرىٰ (١٢) ولقد رآه نزلة أخرىٰ (١٣) عند سدرة المنتهىٰ (١٤) عندها جنة المأوىٰ (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشىٰ (١٦) ما زاغ البصر(٢) وما طغىٰ (١٧) لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ (١٨) ﴾ ـ من سورة النجم.

وعلى ضوء التفسير للآيات من جمهور المفسرين وبالإشارة إلى المعنى (الحرفى) لبعض الكلمات التى وردت بالآيات ننتهى إلى مايأتى: «ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن موضوع المعراج الذى كان معجزة لرسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ـ والذى رأى فيه الرسول الكريم عجائب وغرائب فى ملكوت الله الواسع مما يدهش العقول ويحير الألباب، وذكّرت الناس بمايجب عليهم من الإيمان والتصديق، وعدم المجادلة والمماراة فى مواضيع الغيب والوحى» أ. هـ(٣).

(والنجم إذا هوى) قسم بالنجم إذا هوى للغروب: قال مجاهد يعنى الثريا(٤) وقال السدى إنها الزهرة.

---

(١) يعنى هنا الرؤية كانت بالفؤاد. (٢) وهنا الرؤية كانت بالبصر.

(٣) صفوة التفاسير/ محمد علي الصابونى ٣/٢٧١.

(٤) كان (النجم) علم على الثريا عند العرب. والثريا مجموعة نجمية وليست نجما واحدا يقول الشاعر العربى ابن الرومى يصف العنب:

فكل مجمع منه ثريا * * * وكل مفرّق منه نجوم

وقال الضحاك اذا رمى به الشياطين. وقال الشيخ الشعراوى فى أحاديثه: (يعنى لو أن نجمكم الذى يهديكم سقط ـ انتهت هدايتكم به ـ ولكن نجمى أنا وهو محمد لايسقط أبدا)[1] أ. هـ. ونمضى مع التفسير لسورة النجم.. (ماضل صاحبكم وما غوى) ما سار وراء اعتقاد باطل. (وما ينطق عن الهوى) لايقول من عنده وعلى هواه. (إن هو إلا وحى يوحى) ما هو إلا كلام الله يوحى إليه. (علمه شديد القوى) سيدنا جبريل الذى له قوى شديدة. (ذو مرة) ذو حصافة فى عقله ورأيه. (فاستوى) يقول معجم الوسيط «استوى: استقام واعتدل)[2] أ. هـ. (وهو بالأفق الأعلى أى فى أعلى ما يقال له أفق، لأن كلمة الأعلى وهى

---

(١) هناك امر لو تأملناه بيّن لنا أن هذا النجم له علاقة بمعراج الرسول ﷺ وهو يهبط عائدا أو يهوى عائدا بالرفرف السريع من الآفاق العلوية إلى سدرة المنتهى. يقول الأستاذ/ محمد فهمى عبد الوهاب فى كتابه / أسرار الإسراء والمعراج: (ويمر بجبريل عند سدرة المنتهى فى رحلة الهبوط.. فيراه مشدوها امام آية الله الكبرى، وقد فاض منه الأدب والخضوع والحياء.. فيسأله رسول الله الأعظم وهو يشير إلى آفاق الوجود، يا جبريل:

ـ أفكنت ترى فى هذا الأفق العلوى نجما..؟

ـ رأيته يا رسول الله سبعين ألف مرة، وبين كل مرة ومرة سبعون ألف سنة.

ـ والله، لقد كنت ذلك النجم!!) أ. هـ.

تعليق من المؤلفة: لم نجد لهذا الحديث أصلايرجع إليه ـ وإذا صح نقله عن أصل، كان معني ذلك أن معراج الرسول كان يبدو فى الأفق الأعلى كنجم ـ خاصة وأن الرفرف من الدر يتلألأ كالنجم. ويكون سيدنا جبريل انتظر النبى فى سدرة المنتهى ٤٩٠٠ مليون سنة: فكما سبق وأشرت: الرحلة استغرقت زمنا طويلا جدا بلغ ملايين السنين. ومن الظهور المتقطع للنجم نستنتج أنه يدور فى فلك دائرى كفلك النجوم ـ هو أفق السماوات العلى. والله أعلم.

(٢) فى لغة القرآن وهى باللسان العربى القديم (استوى: انتقل إلى عمل آخر يتطلب قدرة وهيمنة وعلو «أى تملك للمستوى»).

للتفضيل تدل على أن هناك أعالى كثيرة بالمقارنة بينها يكون هذا أعلاها، فيكون غير أفق الأرض ولا أى أرض أخرى: بل هو أفق لأعلى كل السماوات أى أعلى السماء السابعة ـ كما أشار لذلك تفسير ابن عباس بقوله «يقال أفق السماء السابعة». وعلاوة على هذا أقول: هو مستدير أو على هيئة «منحنى» لما توحى به كلمة أفق. ومعنى ذلك أيضا أن الملكوت الذى يضم السماوات السبع كروى مثل شكل الأرض(١).. والذى «استوى» أى «اعتدل واستقام» فى هذا المقام ـ أعلى السماوات كلها هو معراج سيدنا محمد ﷺ، حيث هو فى نهاية المعارج أو الخطوط المنحنية «لأن كروية السماوات هى التى سببت العروج فى مساراتها. أما خارجها أو فوقها أو يعنى بعيدا عنها فقد يكون غير ذلك» أو أنه الإنطلاق و[الإفلات] من جاذبيتها يتطلب هذا الإنطلاق كالسهم. والله أعلم.

أما قولهم باستواء «شكل» جبريل فى الصورة الملائكية ذات الأجنحة، فى هذا المقام، فما مغزاه؟ والنبى قد تعوّد أن يرى الكثير من الملائكة فى كل سماء مثلما رأى سيدنا إسرافيل وميكائيل وعزرائيل..وغيرهم(٢).. كذلك والاستواء: يشير إلى تملك

---

(١) جوف السماء الدنيا (الكون) يقال أنه كفقاعة الصابون ويتمدد مثلها.

(٢) (ثم ارتقينا إلى السماء السابعة فى أسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء السادسة خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك).. (ثم تقدمت أمامى فلم أر أخى جبريل فقلت يا أخى يا جبريل.. أفى مثل هذا المكان يفارق الخليل خليله).. (فنادى جبريل يعزّ علىّ أن أتخلف عنك والذى بعثك بالحق نبياً ما منا إلا وله مقام معلوم ولو أن أحداً منا تجاوز مقامه لاحترق بالنور).. (وقال لى لاتخف ولاتحزن إنما عرج بك ليحييك ربك ويكرمك ويصطفيك ويعطيك. فلما قال لى هذا المقال خَفَتَ عنى كل ما أجده، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى: زجوا حبيبى محمدا فى النور. فأتتنى الملائكة برفرف أخضر كمثل المقعد يحمله=

بقوة وعلو. فهذا معناه فى القرآن الكريم. فأين ذلك فى استواء شكل جبريل؟!.

(ثم دنا) أى اقترب الرسول (فتدلى): يقول معجم الوسيط «تدلل. وبه فسر قوله تعالى: ثم دنا فتدلى فى قول. ونزل عن علو: يقال تدلى من الجبل» أ. هـ. وعن ذات الكلمة قال ابن عباس: تقرّب «بمعنى الخشوع فى حضرة ربه».

وأقول ولكن قول الله بعد ذلك «فكان قاب قوسين أو أدنى» يعنى أنه بسبب تدليه«فاء السببية» ـ كان أو أصبح على تلك المسافة. ولكن قوله أيضا «دنا فتدلى». الكلمتان لاتأتيان سويا بمعنى واحد وإلا حدث التكرار.. ومن هنا نقول «تدلى» هى حركة من أثر جاذبية أو انعدام الوزن فى الأثير أو هى حركة نزول. وهذا معنى من معانى كلمة تدلى كما أوضح معجم الوسيط(١). والنزول ربما كان بالرفرف على مستوى معين. فالرسول يتنقل به من مكان إلى مكان فى هذه الآفاق العليا الشاسعة ولانتصوره طائرا فهو لايملك أجنحة كالملائكة، ولا ماشيا كما على الأرض،

=اربعة من الملائكة فوضعوه بين يدى وقالوا لى إرق يا محمد «فاستويت» على الرفرف فسار بى كالسهم الذى يخرج من القوس، حتى انتهى إلى بحر من نور أبيض). (ثم زج بى فى بحر من نور أخضر يتلألأ) ـ من حديث الاسراء والمعراج لابن عباس.

(١) [الفرق بين الهبوط والنزول أن الهبوط نزول يعقبه إقامة. ومن ثم قيل هبطنا مكان كذا أى نزلناه. ومنه قوله تعالى: «اهبطوا مصر» وقوله تعالى «قلنا إهبطوا منها جميعا» ومعناه انزلوا الأرض للإقامة فيها، ولا يقال هبط الأرض إلا إذا استقر فيها . ويقال نزل وإن لم يستقر) أ. هـ/ كتاب الفروق فى اللغة/ أبو هلال العسكرى ص ٢٩٢.

وكان المعراج للتنقل بين السماوات نظرا لقدرته على قطع المسارات المنحنية «العروج». أما الآن فهو يقترب من العرش وحملته. (فكان قاب قوسين أو أدنى) فكان بعد نزوله على قدر قوسين أو أقل[1]. أما القول بأن سيدنا جبريل هو الذى اقترب من سيدنا محمد ﷺ فى حادثة الإسراء والمعراج[2]. فإن كان هذا قد حدث، فقد تم قبل رحلة المعراج فى أفق الأرض وليس الأفق الأعلى[3].

(فأوحى إلى عبده ما أوحى) أى أوحى الله لمحمد ـ بعد

---

(١) [وبينما أنا أتفكر وقد أخذتنى الهيبة مما رأيت من الجلال والكمال والبهاء والعظمة وهيبة الله تعالى نوديت يا أحمد أمامك أمامك إدن منى فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام فقيل لي يا أحمد لاتخف ولاتحزن فسكن قلبى مما كنت أجده وأخذ ذلك الرفرف يعلو بى حتى قربنى من حضرة سيدى ومولاى]. من حديث الاسراء والمعراج لابن عباس.

ملحوظة:

قال فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام.

وأقول هذه المسافة كما بين سماء وسماء. ولكن هذه الأعوام فى مجال العرش ـ الله أعلم بزمانها: المؤلفة.

(٢) التى تتحدث عنها سورة النجم حيث كانت السورة هى الرد على الجدل والتكذيب للرسول من بعض المنافقين والمشركين لما رآه فى هذه الرحلة.

(٣) قال ابن كثير: (قال ابن جرير هنا قولا لم اره لغيره ولا حكاه عن احد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أى هذا الشديد القوى ذو المرّة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء كذا قال. ولم يوافقه احد على ذلك) أ. هـ تفسير ابن كثير ٤/٢٤٦.

تعليق: بل الذى استوى بالأفق الأعلى هو الرسول ﷺ، وحده بدون جبريل حيث استوى على الرفرف وسار به كالسهم.

ورؤيته ﷺ للرفرف الأخضر الذى سد الأفق أخرجها البخارى عن أبى مسعود/ صفوة التفاسير ٣/٢٧٤.

قربه ـ ما شاء. وحيامباشرا «بدون جبريل» الذى لم يتقدم معه لقوله:

«إذا تقدمت اخترقت وإذا تقدمت احترقت».

(ماكذب الفؤاد ما رأى) يقول تفسير المنتخب «ما أنكر فؤاد محمد ما رآه بصره» أ. هـ[١] ـ وأقول: «ما كذب الفؤاد ما رأى»: هذه الكلمة «ما رأى»: أى ما رأى «الفؤاد» وليس ما رأى محمد ببصره ـ لأن هذه الرؤية بالفؤاد كانت لمحمد فى حضرة ربه ـ وهو يراه بفؤاده.. أما رؤية البصر فكانت عند سدرة المنتهى ـ هذا أولا ـ ثانياً: كيف سيكذّب أو ينكر فؤاد محمد ما يراه بصره؟ هذا لاينبغى له..وإلا كان غير مصدّق. إنما المعنى يرجع إلى عدم ستر أو حجب أو إخفاء الفؤاد لشىء مما يراه. بل يظهره كله بوضوح غير مغيرٍ فيه شيئا من حقيقة ما يراه. فالرؤى تظهر على صفحة فؤاد محمد كاملة غير منقوص منها. لأن «كذب» بفتح «الذال» هى كما فى قوله تعالى «وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم» من الآية ٩٠ ـ سورةالتوبة. «الذين كذبوا الله ورسوله»: أى الذين أظهروا لله ورسوله غير ما أخفوا فى نفوسهم. ويقول معجم الوسيط: «يقال كذَبَتْه عينه: أرته ما لا حقيقة له» أ. هـ ـ وعلى هذا يكون «ما كذَب الفؤاد ما رأى»: ما أخفى فؤاد محمد ما رآه «أى فؤاد محمد» ـ وإنما أظهره كاملا غير منقوص ـ وما رآه هو نور ربه

---

(١) تفسير المنتخب ص ٧٨١.

رآه بفؤاده ـ لأنه لايستطيع أن يراه عيانا وهو على هذا القرب.. فلا يستطيع المرء مثلا أن ينظر فى قرص الشمس مباشرة، فكيف ينظر محمد نور ربه بعينيه والله نور[١] السماوات والأرض؟!

(أفتمارونه عل ما يرى) أى أفتجادلونه وتكذبونه فيما يراه رؤية مستمرة بفؤاده «لوجود صيغة المضارع فى كلمة يرى» عن أبى ذر قال سألت رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك؟ فقال «نور أنّى أراه» فإذا فسرت (أنّى) بمعناها الحرفى فهى متى أو عندما وأيضا كيف. فإذا أخذناها هنا فى الحديث بمعنى «متى أو عندما» يكون معنى «أنّى أراه» أى عند رؤيتى لربى أراه نوراً وهذا يعنى أيضا رؤيته له بصفة مستمرة نورا بفؤاده حتى ولو لم يرتبط هذا أو تلك الرؤية بحادثة المعراج خاصة. وإذا أخذنا المعنى الحرفى لكلمة «أنى» بمعنى «كيف»: أى كيف أراه والنور ـ نور وجهه ـ يغشى بصرى كما قال الماوردى[٢].

---

(١) (فقال لى سبحانه وتعالى هل ترانى بعينك قلت سبحانك لاتدركك الأبصار ولاتحويك الأقطار ولايغيرك الليل والنهار وأنت الواحد القهار إلهى وسيدى، ومولاى غشى بصرى نورك وبهاؤك وجلالك فلا أراك. إلا بقلبى) الإسراء والمعراج لابن عباس.

(٢) عن تفسير الخازن ١٩٤/٤.

رؤية الرسول لربه

ولكن عن رؤيته ﷺ لربه فى حادثة المعراج خاصة سئل:

«قالوا: هل رأيت ربك؟ قال: رأيته بفؤادى مرتين»[1] أ. هـ. (ولقد رآه نزلة أخرى) أى رأى نور ربه مرة أخرى عندما عاد من القرب ونزل (عند سدرة المنتهى) وهذه المرة رأى بالبصر فيوضات تجلى النور على أغصان شجرة النبق «السدرة» - وربما بعد أن رأى نور (ربه) بفؤاده فيها (عندها جنة المأوى) فى هذا المكان توجد جنة المأوى: تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء.

(إذ يغشى السدرة ما يغشى) عندما تجلَّى النور على السدرة - نور ربها - فتلألأت بأعاجيب الجمال مما يتعذر معه الوصف. ولذلك ذكره الله غير موصوف لنا لأنه ليس لدينامفردات هذا الوصف ولاتصور هذا الجمال فقال «ما يغشى» - وهذا ما رآه الرسول ﷺ ببصره «أى تجلى نور الرب على شيء آخر» ولم ير الرسول نور ربه المباشر بعينيه لأنه أقوى وأعلى من أن يراه بشر بعينيه. ولقد غشى هذا النور بصر الرسول ﷺ، فكأنه كفه عن أن ينظره فعلا.

وفى جمال السدرة حينذاك قال النبى ﷺ: «ما يستطيع أحد أن يصفها من حسنها[2].

وعن مسألة رؤية رسول الله ﷺ لربه عز وجل فى المعراج يقول الخازن أيضا:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٢/٤.
(٢) تفسير الخازن ١٤٨/٣

(وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال نعم. وقد روى باسناد عن شبعة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه عز وجل والأصل في المسألة حديث ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها والمرجوع إليه في المعضلات ;قد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل فأخبره بأنه رآه ولايقدح في هذا حديث عائشة(١) لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول لم أر ربي وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لاتدركه الأبصار والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها لأنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولايستجيز(٢) أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه

---

(١) [وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله ﷺ ربه وتحمل الآية «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى» على رؤية جبريل - عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت - أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت. ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين - أخرجاه في الصحيحين)/ الخازن ١٩٢/٤.

(٢) لايجوز.

المسألة بالظن والإجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم إن ابن عباس أثبت مانفاه غيره والمثبت مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى إثبات الرؤية قال الشيخ محى الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه عز وجل بعينى رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم[١] وإثبات هذا لايأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ هذا مما لاينبغى أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله لاتدركه الأبصار فجوابهُ ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لايحاط به وإذا ورد النص ينفى (الإحاطة) لايلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب فى نهاية الحُسْن مع اختصاره ـ وأما احتجاجها بقوله تعالىِ وماكانِ لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحيا (الآية) فالجواب عنه من أوجه أحدها أنه لايلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام. الوجه الثانى أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة. الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحى الكلام من غير واسطة. وهذا الكلام وإن كان

---

(١) ابن عباس ذكر عن رسول الله قوله أن الله والرسول فى حضرته يسأله: هل ترانى بعينك؟ فقال ما قرأناه فى الحديث من أن نور الله غشى بصره فهو لايراه إلا بفؤاده: المؤلفة.

محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الإلهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهد لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لايرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة مايسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى أول الحديث: لقد قف شعرى فمعناه قام شعرى من الفزع لكونى سمعت مالاينبغى أن يقال. تقول العرب عند انكار الشيء قف شعرى واقشعر جلدى واشمأزت نفسى. وقوله ﷺ فى حديث أبى ذر (نور أنّى أراه) فهو بتنوين النور وبفتح الهمزة فى أنّى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه. قال الماوردى الضمير فى أراه عائد إلى الله تعالى والمعنى أن النور يمنعنى من الرؤية كماجرت العادة باغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ماحالت بين الرائي وبينه. وفى رواية. رأيت نورا معناه رأيت النور فحَسب ولم أر غيره وفى رواية ذاته نور أنّى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نور إذ النور من جملة الأجسام(١) والله يتعالى عن ذلك. هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم.] أ. هـ(٢).

(مازاغ البصر) ما مال بصر محمد ﷺ يمينا أو يسارا ـ

---

(١) لم يعرف أن الضوء مادة إلا بعد نسبية اينشتين!

(٢) تفسير الخازن ١٩٤/٤.

إذ ثبت على ما يرى. ربما لشدة جماله وانجذابه إليه (وما طغى) ما تجاوز بصره ما تجلى عليه النور ليتعدى مثلا إلى مصدره ـ إنما مصدره هو المرئى فى قلبه فقط متى يكون فى حضرة ربه «نور أنَّى أراه».

وفى رواية أخرى «رأيت نورا»[1] أيضا بالفؤاد. (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) رأى من عظائم دلائل ربه.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٢.

رؤية الرسول لجبريل

أما قولهم بأن رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام على هيئته الحقيقية ـ هى الآية التى رآها من آيات ربه الكبرى ـ فأقول: لقد رآه من قبل بتلك الصورة.. ومايعجب له المرء مرة، لايكون كذلك فى المرة التالية؟. فلماذا يريه جبريل نفسه بهذه الهيئة مرة أخرى ولم تعد هذه الرؤية (آية كبرى) بتكرارها له فى السماء، بعد رؤياها فى الأرض؟ لقد رأى آيات أعظم من ذلك حتى ولو كان قد رأى هذه الآية وهى هيئة جبريل كآية (من آيات ربه الكبرى)[1]. الأحق بالقول أن الآية الكبرى: أنه رأى ربه وكلّمه. وأنه رأى المستقبل قبل أن يجىء زمنه على الأرض، ورأى الغيب فى زمنه السماوى. رآه رأى العين. فهل بعد ذلك آيات «تريه أن الجنة حق والنار حق وأن الله سبحانه وتعالى حق»[2] أ. هـ. وبعد عودته من السماء

---

(١) وتفهم الآية (لقد راى من آيات ربه الكبرى) ـ ١٨ النجم على وجهين: إما أن هناك آيات كبرى متعددة أراه الله بعضها.. وعلى ذلك تكون رؤية سيدنا جبريل من جملة هذه الآيات الكبرى.. وإما ما قاله الشيخ الشعراوى (لو أخذناها بالسياق اللغوى.. لكان معناها لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه.. فكأن الكبرى هى المفعول.. وليست وصف الآية) أ. هـ/ كتاب المعجزة الكبرى/ الإسراء والمعراج ص ١١٧.

وأقول وإذا كان الأمركذلك فالتقارن بين رؤيته لجبريل على صورته وآية هى بلاشك أكبر حدثت ورآها النبى هى رؤية ربه. أى رؤية من خلق جبريل وغيره من آيات كبرى فى الأرض وفى السماء: المؤلفة.

(٢) كانت ذكرى الإسراء والمعراج وكنت ومحدثى نتدارس عظمة الرسول ﷺ التى أهلته للقاء ربه. فهمس لى محدثى:

وكأنما هو يفضى بسر الأسرار الذى لايجب أن يعرفه أحد إلا خاصة الخاصة، فقال: (انه عندما رفع الستار بينه وبين ربه رأى النبى نفسه أمام=

قال الرسول ﷺ وهو يحدث أهل مكة عن واقعية رحلته وأنها ليست خيالا أو رؤيا منام ـ فقال لهم (لما كنت أنا وأخى جبريل فى الهواء رأيت من بنى مخزوم فلانا وفلانا هم وركب عند جبل الأراك وقد ضل منهم جمل أورق فناديتهم من الهواء إن جملكم فى واد النخل وهم عند طلوع الشمس من الغد يفدون عليكم فإذا جاءوكم فاسألوهم)..

قال ابن عباس: (فلما أصبح ذلك اليوم وكان الركب بعيدا ولم يقدروا أن يدركوا مكة عند طلوع الشمس فأمسك الله في ذلك اليوم الشمس حتى لحق الركب مكة إكراما وتصديقا لكلام سيد

= نفسه!). وصمت محدثى وأطبق فمه عن أية كلمات أخرى، انتظارا لأن أنطق بكلمة ما لاستقبال هذا السر؟ ولكنى كنت فى ذهول عقد لسانى فلم أنطق. فقط ارتسمت على ملامحى علامات الإشمئزاز من القولة الخبيثة التى يتشبه بها بعض المسلمين بغيرهم من الأمم عندما ألّهوا رسلهم. الآن وبعد أن عرفت أن «المعراج» كان رحلة فى الزمان أستطيع أن أقول: لاغرابة لو كان هذا قد حدث فى الرحلة..؟ ورفع ستار ما فى السماء... فى الجنة أو غيرها.. من الأماكن التى طاف بها النبى فى رحلة المعراج.. فوجد محمد نفسه أمام نفسه! ولكن نفسه هذه التى رآها هى نفسه أو ذاته بعد ملايين السنين أى أنه رأى (محمدا/ المستقبل) كما سمع (بلالا/ المستقبل). وليس هذا الهراء الذى يظنونه. والحقيقة ليس محدثى هذا كان الوحيد المدعى لهذا السر أو الذى يعتقده ـ وهو فتنة لبعض الناس لعدم فهمهم طبيعة الإسراء والمعراج وأنها كانت خلف الزمن الدنيوى: فهذا مؤلف كتاب/ أسرار الإسراء والمعراج/ محمد فهمى عبدالوهاب يقول فى كتابه عن لقاء محمد بربه (فإذا القلب واع والعين باصرة والسمع مرهف، والفؤاد مشاهد لسر السر، قد اتسع بإذن الخالق لاحتواء الآية الكبرى، التى ما كانت ولن تكون لغيره من خلق الله قط.. هنالك إلتقت الحقيقة بالحق، والصورة بالذات). أسرار الإسراء والمعراج ص ١٢٢.

أقول: اللهم اغفر وارحم يا من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: المؤلفة.

الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ ولما طلعت الشمس دخل الركب مكة وأخبروا أنه ضل منهم بعير. قالوا وكنا نبحث عنه فنادانا شخص من الهواء إن البعير فى واد النخل[1] فأتينا الوادى فوجدناه كما ذكر لنا - فلما سمع المسلمون ذلك فرحوا فرحا شديدا وضجوا بالتهليل والتكبير وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حوله وهو بينهم كالقمر وهم حوله كالنجوم. وضجت الملائكة فى السماء بالتهليل والتكبير إكراما للبشير النذير، وعاداه أبو جهل وجحده وحسده وقال هذا سحر عظيم منك يا محمد وأقبل النبى ﷺ يحدث أصحابه بما رآه فى السماوات والعرش من العجائب وما رآه فى الجنان من النعيم الدائم لأهل محبته وما رآه فى النار والجحيم من الحميم والعذاب الأليم لأعدائه) أ. هـ/ الإسراء والمعراج لابن عباس.

ختاماً أقول عن رحلة الإسراء والمعراج:

إن الرؤى التى رآها سيدنا محمد ﷺ فى السماء ليلة المعراج - كانت فى جوهرها - إبهار الحقيقة خلف سواتر الزمن..سواء كان ما رآه برؤية العين أى بالبصر، أو برؤية الفؤاد أى بالبصيرة فالرؤية فى الحالين لحقائق وليست لنماذج أوصور[2].. إنها رؤية لمابعد (عالم الزمن).

---

(١) سمعوه ولم يروه لأنه غير مرئى. سبق الإشارة لذلك! المؤلفة.

(٢) أقول رؤيته أيضا - فى الإسراء - للدنيا على صورة امرأة عجوز (كناية عن قرب انتهائها) محلاة بالزينة (كناية عن اغرائها) ليس صورة.. او نموذجاً! بل هى الدنيا بلحمها وشحمها! - كيف ذلك؟ - هذه الدنيا كما عرفنا تعنى السماء الدنيا وما تضم. وجميع السماوات وما فيها يسبح فهى حية، وقال تعالى=

وسيبقى الله وحده.. الحى أبدا.. فوق الزمن.. هو صانع الزمن.. هوالأول بلا ابتداء.. وهو الآخر بلا انتهاء.. فسبحانك يامن تطوى السماء كطى السجل للكتب. بعد أن تنتهى سطور أوقاتها.

إرحمنا يامن لاراحم لنا إلا هو..واغفر لنا مازاغت قلوبنا وعقولنا.. ومالم تنتهى إليه أقلامنا من حقيقة عظمتك.. ومرادك..

جلّت قدرتك.. وسما علمك. وتعالى قدرك.. يا من يبدأ الخلق ثم يعيده فى ملك هو مالكه.. يا من تعيدنا فيما لا نعلم.. نشكرك على نعمة خلقك لنا.. ونحن عبيدك وعبادك. إلى ما شئت أن يكون لنا هذا الشرف العظيم.

=(وأوحى فى كل سماء امرها) ـ فصلت. فهل يوحى إلا لحى؟ إذاً السماء بمحتوياتها أو (الدنيا): حية. ومادامت حية فهى تحمل (الروح) وتتشكل فى أى هيئة مثلما الملائكة وهم (روح) يتشكلون للأنبياء فى هيئة البشر*.. فكون الدنيا او (روح) الدنيا ..تشكلت للنبى فى ثوب هذه المرأة العجوز..فهى ذاتها الدنيا بشحمها ولحمها واغرائها الذى تحول زينة لها. ولانعجب لرؤية النبى لهذه الرؤية فهو فى حالة تسمح له بالرؤية على هذا المستوى بعدما عولج جسده وقلبه بيد جبريل قبل بدء الرحلة. بل هو فى حياته العادية كان يرى ويسمع ما لايراه أو يسمعه غيره.. مثل الأشجار التى كانت (تسلم عليه) قبل بعثته. وكالشاة المسمومة التى قالت له لاتأكل منى.. كلمته رغم موتها..

(*) كذلك هيئات الشياطين او الجن تتجسد عند اللزوم.

ملاحظات وانتقادات لما جاء في الكتاب

قال قائل:

١ ـ حول المنهج:

عالجت الاستاذة المسائل المتعلقة برحلة الإسراء والمعراج - وماتتضمنه من مسائل غيبية عن الجنة والنار وغيرهما بتفسير ومنهج علمى وذلك أمر غير مأمون العواقب ويرى الأستاذ الدكتور على عبد الفتاح مصطفى ـ كلية الهندسة جامعة القاهرة ـ الأهرام ١٩٩٣/٨/٤ ـ يرى وجوب التفرقة بين منهاجين: أولاً: المنهاج العلمى وهو الذى لايسمح بالمسلمات ويؤمن بالتجربة والتحقيق والتمحيص وذلك له مجاله. ثانياً: المنهج الإيمانى وهو يختلف جذرياً عن المنهج العلمى: فإذا كان المنهج العلمى لايعتمد غير الماديات، ويخضع كل شىء للقياس الحسى فإن المنهج الإيمانى يقوم أولا على التصديق، ثم البحث عن البراهين. إنهما طريقان متوازيان ومن الخطورة أن نخضع أحدهما للآخر فلا يصح تطبيق الأول على الثانى فى الأمور العقائدية ـ وربما يكون قد حدث هذا مع الدكتورنصر حامد أبو زيد فى معالجته للتراث نقدا علميا ـ حسب مايدعى ـ فوصل به الأمر إلى التشكيك ووصف كلام الله بأنه «منتج ثقافى»! ووصَف العقل الذى يؤمن بالغيب بأنه «غارق فى الخرافة» وأن تثبيت القرآن فى قراءة قريش كان لتحقيق «السيادة القرشية» واعترض على نصيب البنات فى «الميراث» وسخر من «أحكام الجزية!» إلخ - إن الخلط بين المنهجين يجعلنا نطأ أرضا خطيرة ممتلئة بالحفر والألغام، فلكل منهج أسلوبه ووسيلته ولايصح العكس..

٢ ـ اعتمادها فى البحث على بعض المصادر الدينية التى قيل فى روايتها ما قيل وبخاصة تفسير الخازن ـ المعروف بالإكثار من الإسرائيليات فى تفسيره بل إنها اعتبرته بعد القرآن العظيم مباشرة ـ ينظر الكلام عن تفسير الخازن فى كتاب «الإسرائيليات فى التفسير والحديث» للشيخ محمد حسين الذهبى ص ٢١٩ بل إن الكاتبة اعتمدت كل ما نسب لابن عباس فى قصة الإسراء والمعراج كأنه «حديث متواتر» ومن ثم ذهبت تفرض وتحلل وتفسر.. لقد قيل الكثير عن بعض روايات الإسراء والمعراج ـ يراجع كتاب «اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة» ج١ ص ٦٣. ومابعدها. ولكن القارىء لتفاصيل جزئيات القصة يحس بأنه تنزيل من حكيم حميد لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..!

٣ ـ الجرأة الشديدة فى تناول مسائل غيبية بالقصة وتفسيرها علميا ـ كما تقول ـ يتيح لكثيرين أن يشككوا فى المسائل الدينية بنفس المنهج وذلك كما حدث مع «نصر حامد أبو زيد» كما يتيح لآخرين أن يكتبوا تفسيرات عصرية بدعوة الاجتهاد ـ كما حدث من (   ).

٤ ـ فى قصة الإسراء والمعراج «معجزة» وهى أمر خارق للعادة.. يتقبلها المؤمن ويصدقها لأنه يؤمن بإله قادر يقول للشىء «كن فيكون». ويخيل إلى أن محاولات الإقناع العقلى والعلمى بما ورد فيها تعطينا فى النهاية أن ما حدث يسير حسب السنن والقوانين الكونية.. أى أنه غير خارق للعادة.!

٥ - روايات الإسراء والمعراج فى «تفصيلاتها المتنوعة» روايات آحاد.. ونحن نعرف أن «المتواتر» هو الذى يستدل به فى العقائد أما «الآحاد» فيستدل بها فى الأحكام..

٦ - فى الحقيقة لم أفهم ما كتبته المؤلفة عن السالب والموجب والزمان والمكان والغيب «إن المكتوب أمر سيحدث بيقين عندما يحين وقته كأمر مقدّر.. لكن ما تفهمه المؤلفة من أن ما فى الغيب قد حدث فعلا.. وأن النبى ﷺ حينما رأى بلالا فى الجنة قد رآه حقا.. ولم يكن نموذجا له بل هو عينه ولكن فى زمن مقبل لم يولد بعد فى الحياة الدنيا القائمة حينذاك، وكذلك ما رآه النبى ﷺ فى الجنة والنار.. لا أستطيع أن أتصور «بلالا» الموجود فى الدنيا حيا يرزق بينما يراه النبى بذاته فى الجنة.. شىء بعيد عن التصور والمنطق!.

٧ - القرآن ليس كتاب علم وإنما هو كتاب تشريع حقائقه ثابتة بينما النظريات العلمية يحدث فيها الكثير من التغيير والتعديل.. وهناك محاولات كثيرة للإستعانة بالمكتسبات العلمية كتفسير «الجواهر» للشيخ طنطاوى جوهرى ومحاولات أخرى للدكتور مصطفى محمود وغيره.. لكن المغالاة فى التفسير العلمى، والرغبة فى اكتساب التميز والتفوق تحمل كثيرين على لىّ عنق النصوص بطريقة تؤدى إلى الدهشة والاستغراب كما أن التفسير العلمى إذا ظهر خطؤه فيما بعد يترك أثرا غير حميد فى أذهان القراء.

٨ـ إن ما ذكر لايقلل من المجهود الكبير الذى بذلته «السيدة الفاضلة» وذلك يبدو من التوفيق بين ما ورد فى النصوص وما ظهر من الحقائق العلمية، وحرصها على الرجوع إلى أهل التخصص.

الرد على النقد والملاحظات على الكتاب

أولاً: أشكر (للناقد) تفضله بهذا النقد.. وردا عل نقاطه أقول:

١ - [حول المنهج: عالجت الأستاذة المسائل المتعلقة برحلة الإسراء والمعراج وما تتضمنه من مسائل غيبية عن الجنة والنار بتفسير ومنهج علمى وذلك أمر غير مأمون العواقب..].

أقول:

الفكرة الأساسية للكتاب ليست الجنة ولا النار وإنما ذكرا (للترغيب والترهيب) - بالنسبة للقارئ - فى سياق الكتاب، وكفروع ثانوية - مثل غيرهما من الغيبيات - للفكرة الأساسية للكتاب والتى تدور حول (الزمن) فى رحلة الإسراء والمعراج.. وهل النبى ﷺ - ما رآه (كان فى الآخرة حقا) بأحداثه الحقيقية - أم شبهت له تلك الأحداث (كنماذج) لما سوف يكون فى الأخرة؟

وتقول: (فإذا كان المنهج العلمى لايعتمد غير الماديات، ويخضع كل شيء للقياس الحسى فإن المنهج الإيمانى يقوم أولا على التصديق، ثم البحث عن البراهين).

وأسأل: هل ما جاء بالمعراج يخضع للتجربة أوهو قابل لتكرارها؟. إذاً هو منهج ايمانى.. وهذاما اتبعته: (التصديق ثم البرهان)..فنحن نؤمن ونصدق برحلة الرسول إلى السماوات العلى وإلى عرش الرحمن وأنه رأى.. ورأى.. وإذاكان تصديق الرحلة بمرائيها هذه كان صعبا على بعض معاصريها رغم ما صاحبها من دلالات أرضية، ومازال صعباً على بعض

المعاصرين الآن فراحوا يحاولون مخارج لصعوباتها، وللأسف كلها تجرد المعجزة من صفتها هذه: حيث يعتبرونها رحلة بين أفلاك فى السماء مثلا أو صورا تتراءى لعين الرسول وهو كائن فى الأرض، فكان لابد لى للجوء للمثل والتشبيه بما يحدث فى حياتنا أو سوف يحدث فى المستقبل وهو السفر فى الفضاء.. والمثل أو التشبيه نوع من الإثبات والبرهان. إذاً صدقنا ثم حاولنا البحث عن برهان بما هو متاح فى هذا العصر؟ ففيم خالفت هذا المنهج الايمانى الذى تشير إليه، والذى يسرى على الإسراء والمعراج وغيرهامن أيات كونية هى مجال عمل العقل، لأنها لادخل لها بأوامر الله الثابتة ونواهيه فى عبادة لاتتغير بتغير العصور قيد أنملة؟.. ولله المثل الأعلى فى هذا المضمار - فى. تلك البراهين الإيمانية (الحسية) - فالله يضرب الأمثال فى القرآن الكريم لمثل هذه المسائل الغيبية والإيمانية لتقريبها للناس وتفهيمها لهم، وهى أمثال محسوسة من حياتهم، أكثرها علمية، أو تتناول ظواهر كونية - مثل قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾ ١٦ - سورة البقرة. فمامثلهم عند الله أو ليستوعب الناس عملهم هذا؟ ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ سورة البقرة من الآية ١٧. أو ﴿كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ من الآية ١٩ من سورة البقرة وهذا المثل الأخير يذكر ظاهرة محسوسة رغم ندرتها فى حياة العربى.. ولكنها فى نفس الوقت كما سب صدرت

كونية، يطول شرحها فحتى تعرف كيفية حدوث هذه الظلمات والرعد والبرق فى حد ذاته، ستعرف الفرق بين السحب الطبقية والسحب التى تنمو رأسيا وتعرف باسم الركامية والتى تولد هذه الظاهرة..الخ.

ولعمل إيمانى آخر يريد الله ترسيخ صورته فى نفس فاعله أو المخاطب، حتى يدركه بنفسه، فيقول:

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (٣٩) ﴾ ٣٩ ـ النور. هذا السراب قضية ملموسة للعربى ابن الصحراء كان يعيشها.. وفى ذات الوقت نرى قضية إيمانية تفسر بقضية أخرى علمية، لأن السراب يحدث فى رحلات الصحراء فى الجو الحار، عندما تتكاثف طبقات الهواء التى تختلف حرارتها.. فالهواء البارد أكثر كثافة وثقلا من الحار فلا يتمكن الضوء من اختراقه بخط مستقيم فينكسر وينحرف وهذا الانحراف هو السبب فى الإيحاء بأن هناك طبقة مائية. وقد تنعكس فوق هذا الماء الموهوم صور لأشجار ونخيل. ويتلاشى كله بالاقتراب منه.. كما تتلاشى أعمال من ضرب الله لهم المثل. وهكذا فسرت قضية (إيمانية) بقضية (كونية) من حياة الناس تشبهها. والأمر يطول لسرد مثل هذه الأمثال فى القرآن الكريم، المهم أن يكون المثل ـ لدى المتلقى ـ فكرة عنه فيعطى تأثيره المطلوب. وأنا قلت فى كتابى (رحلة فى الزمان) وكتب سابقة له بأن رحلة الإسراء والمعراج من (الحقائق المستحيلة) أى مستحيلة

ومستعصية على الفهم. فحاولت تقريبها للأذهان بما نلمسه من منجزات عصرنا العلمية وما أكتشف من قوانين وحقائق كونية.

هي إذاً مسألة حسية تقريبية ـ مثل ـ للتعرف على مسرح أحداث الرحلة التي تعاملت مع الفضاء بالفعل، وجعل الإيمان بها له جسم كما له روح. ذلك الإيمان الذي لم يمس من قريب أو بعيد. وهي أيضا روح العصر التي تصبغ طعامنا وشرابنا وحبات قلوبنا، شئنا هذا أم لم نشأ.

وأخطاء العلم في الكونيات لاخطر منهاولاتؤثر على الإيمان، وسيظل القرآن يفسر بعلم كل عصر. خاصة في تلك المسائل المتعلقة بالخلق. امتثالا لقول الخالق الذي يأمرنا بالنظر في السماء والأرض وكيفية تسويتهاوبنائها[1]. حتى الإبل يأمرنا بالنظر إليها والتفكر في خلقها..وأيضا في أنفسنا.. وهو يعلم أننا حينذاك سوف تكون لنا بعض الأخطاء ونحن نعمل بعقولنا هذه. إن أخطاء المفسرين القدامى في العصور السالفة في تفسير الظواهر الكونية أو الآيات الكونية لم يؤثر فينا.. فكل عصر له (غرباله). وانظر لنظرة ابن عباس وهي نظرة عصره للأرض. كآية كونية من آيات الله ـ إنه ومعاصروه يقولون عنها ما معناه: أن هذه الأرض محمولة على قرن ثور.. هذا الثور يقف على ظهر تمساح. وهذا التمساح يقف على جزيرة في الماء!.. فماذا أصابنا

---

(١) يقول تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١٧) وإلى السماء كيف رفعت (١٨) وإلى الجبال كيف نصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سطحت (٢٠) ﴾ الآيات من ٢٧ ـ ٢٠ الغاشية.

نحن فى هذا العصر فى إيماننا من هذا التفسير العلمى الخاطىء؟ لقد عملت مصفاة التاريخ وغرباله على مدى كل عصر فنقيت الأذهان من هذه الشائبة، ولم يضر بها أحد، وهكذا لو فكرنا وأخطانا فلن تظل أخطاؤنا باقية.. ستجد من يفكر فيها، وتكون حافزاً له لتصحيحها كما نفعل نحن الآن بأخطاء سابقينا. وهكذا تزداد معرفتنا ونزداد خبرة من احتكاك العقول لا من تجميدها خوفا من الأخطاء. ويظل إلتحام المسلم بعصره فلا ينسلخ عن الدين ظنا منه أنه يعارض واقعه.. فيقع فى براثن العلم المادى دون ربطه بإيمانه. فالدين الصحيح لايتعارض مع العلم الصحيح. ولاخوف من أخطاء العلم بعيدا عن منهاج العقيدة وأساسياتها (افعل ولاتفعل).

٢ - [اعتمادها فى البحث على بعض المصادر الدينية التى قيل فى روايتها ما قيل وبخاصة تفسير الخازن.. واعتبرته بعد القرآن العظيم] وأقول:

أولاً: لم يكن ترتيب (المراجع) عن قصد، بل ذكرت كمراجع فقط للكتاب.. وكان لابد وأن يأتى بعد القرآن العظيم ذكر اسم مرجع، ومهما كان فهو لايعلو لحد المقارنة به، بعد أو قبل؟

ثانياً أقول: ما رأيت فكرا قديما أو حديثا نجا من القيل والقال! وهذه ظاهرة على كل حال صحية. وهى ما أقوله الآن (عملية الاحتكاك والنقاوة):غربال الزمن. فقط - يكون هناك الإخلاص.. الأخلاص لله فى العمل . لا لمجرد التعالى على عقول الآخرين وعلمهم.

وهذا الخازن الذى لايروق لكم؟ أنا اعتبره من أعظم

المفكرين وسابق لعصره. وليس ذنبا له أنه (نقل) تراثا وحافظ عليه إرثا من سابقيه، بعد ما وضعوا فيه السم.

هذا الخازن الذى كانت له جرأة التساؤل عن رؤية النبى ﷺ للأنبياء فى السماء وفى الأرض فى ذات الوقت؟ ـ رغبة فى أن يفهم لا أن يعترض. الشىء الذى دفعنى بالفعل لإجابة سؤاله هذا فى كتاب لأقرّب المسألة الشائكة أو الحقيقة الإيمانية التى تفوق الخيال ـ للأذهان. أما القول بأنى اعتمدت على الخازن فى تفسيرى.. فلم آخذ منه إلا بضع أحاديث ذكرها من الصحيحين (مسلم والبخارى) مع (نهاية) حديث للإسراء والمعراج ـ فقط ـ لأصل لسؤاله المذكور. فكل ما أخذته موجود فى جميع التفاسير ماعدا هذا السؤال الذى بهرنى وعلمت منه أنه عقل كبير يفكر. واستعنت بعقله هذا فى حقيقة أخرى من (الحقائق المستحيلة) فى كتاب آخر. وكان حوارا شيقاً بينى وبينه؟!. لقد اعتمدت أكثر على حديث ابن عباس. وابن عباس كما قيل عنه: حبر هذه الأمة يسأل فى المعضلات..[1]

وأيضاً استعنت بتفسير ابن كثير. ولم تقل أنى استعنت بصفوة التفاسير وهو تفسير يضم (القرطبى، الطبرى، الآلوسى، ابن كثير، والخازن وغيرهم).

أما الإسرائيليات فى تفسير الخازن فمحصورة فى (الحكايات) التى يحكيها بمناسبة بعض الأحداث التى تمر بالآيات ـ وهى سمة عصره فى التأليف عموما (وسأعود للحديث فى هذه النقطة أيضا مرة أخرى).. أما تفسيره للآيات

---

(١) سأعود لأناقش موضوع الإسرائيليات: وكيف عندما لانعقل ما يقال نقول إسرائيلى!

(كنصوص) فلا إسرائيليات فيه، يقول ببساطة ووضوح كغيره من المفسرين مع بعض التساؤلات التى يطرحها على نفسه، لأنه يفكر بعمق، لكى يصل إلى أقصى مايمكن فهمه من الآية. وعن الإسرائيليات أخيرا أقول: لا ابن عباس ولاغيره من المعاصرين له (إسرائيليين أو غيرهم) - كان فى قدرته (تخمين) المعلومات (الكونية) التى جاءت فى أحاديث رحلة الإسراء والمعراج، مثل مثلا (الأنوار الملوّنة). فقد ذكر نوعين من النور (النور والنور الأبيض مثلا). والنور الأبيض هو (كالنيون) أو هو الناتج عن (التأيّن). ولم يكن معروفا ولاغيره من الأنوار ذات الألوان.. والتى هى - فى الفضاء - اشعاعات كونية، وقد اكتشف العلماء المعاصرين مخازن لأشعة (جاما) على بعد ٢٠٠ مليار سنة ضوئية - كمثل ما سماه النبى (بحارا) من النور - كذلك شكل الكواكب أو (الجبال) الفضائية التى ذكرها النبى.. فمن كان يتصور أن هذه الأجرام المنيرة فى حقيقتها كذلك.. الخ. أشياء (كونية) كثيرة فى الرحلة ذكرها حديث ابن عباس: تقول وتثبت أنها ليست إلا لمن رآها بالفعل رأى العين، واستخدم الفضاء الكونى لذلك، وليس فى الأمر اسرائيليات، بل علم متقدم عن تلك العصور، وعن هذا العصر أيضا. والإسرائيليات عموما ليست إلا فى الأحداث المشتركة بيننا وبين أهل الكتاب. فهل حدثت (الإسراء والمعراج) أو ذكرت فى أى كتاب منزل قبل القرآن؟ لتجد من أهله من يفتى فيها أو يدلى بدلوه فيها؟. فلو جاءت الإسرائيليات فى أى حديث آخر أو واقعة إسلامية أخرى، اعتقد أنها لن تكون ولن تصح فى الإسراء والمعراج، التى هى حدث إسلامى خالص. فالأحداث المشتركة بيننا وبين أهل الكتاب كانت

أساس (الحكايات) التى تحكى حول الأحداث الإسلامية: يسأل المسلمون ويجيب أهل الكتاب بما لديهم، والتى سميت فيما بعد بالإسرائيليات (كحكايات الخازن). لماذا يحدث هذا؟ لأن النفس الإنسانية جبلت على الفضول وحب الإستزادة من معرفة (تفاصيل) الحدث أو (حكايته). وهى فروع ثانوية لغريزة (حب الخلود) فى نفس البشر أو حب البقاء، منذ أبيهم آدم. فهم يحبون أن (يعيشوا) الحدث مع أصحابه ليتضاعف عمرهم (معنويا) . وهذا هو سر (الحكاية) ـ التى تطورت فى العصور الحديثة إلى: (الفيلم) والتمثيلية والمسرحية وما إلى ذلك..[1] ليست المسألة إذاً فى الغالب هى (تعمد) زرع اسرائيليات فى الأحاديث النبوية، ولا الحكايات الدينية، بقدر ما هى تطورات طبيعية نتيجة احتكاك وتفاعل البشر بعضهم مع بعض لكى يعرفوا.. ويستزيدوا علما..

٣ ـ الجرأة الشديدة فى تناول مسائل غيبية بالقصة وتفسيرها علميا..الخ.

وأقول:

على كل حال ليست جرأة فى باطل فأنا أيّدت ما قاله الله تعالى فى القرآن الكريم وما قاله الرسول ﷺ فى الأحاديث النبوية الشريفة. ولم ترد فى القرآن ولا السنة أن النبى ﷺ رأى نموذجا، أو (ماكيت) للحقيقة فى الإسراء والمعراج. إنما رأى الحقيقة ذاتها.. رأى أحداث الآخرة الحقيقية.. لامثل له..

---

(١) وقد تكلمت عن هذا الأمر فى كتابى (اعادة نظر فى ابجدية الحياة): المؤلفة.

وحقيقة الاسراء والمعراج هذه. لم أغير فيها.. ولم أغير من أن القيامة ستقوم على الناس فى حينها. وهذا الحين لم يأت لهم بعد (لأن الوقت الذى رأى فيه النبى الأحداث لم يأت وقته على الناس).

ستقول: كيف ما حدث لم يأت؟.

أقول:

هذه هى المعضلة! ـ هذه هى القضية الإيمانية التى نصدقها كما هى ـ وقد نبحث لها عن برهان يقربها من أفهامنا بدل أن نستبعدها لشدتها على عقولنا.. لقد أشارت الأحاديث النبوية لهذا (المستقبل) الذى حدث بالوصول إليه فى زمن حدوثه:

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد[1] محبوسون، إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء ـ رواه الشيخان) أ. هـ.

ألا يدل هذا الحديث على أن النبى رأى (حقيقة) ـ هل كانت هذه الجنة (صورة) للجنة؟ وهؤلاء المساكين (صوراً) لهم؟ إذاً لقال النبى ذلك. ثم إنه يذكر ذلك بصيغة (الماضى)[2].

وأعود للرد على (النقد) ـ وأسأل: ماحكاية قولك (القصة)؟

(١) أصحاب المال والجاه للسؤال.

(٢) لكنه حدث مستقبلى رآه يحدث فى المستقبل لنا.

ألأن الموضوع تنمو فيه الفكرة لتكتمل فى ذهن القارىء.. فقد تحول إلى قصة؟ ليته حدث! إذاً لكان أكثر تشويقا وقدرة على الإلمام به. أم تراك تقصد (قصة) حديث ابن عباس فى الإسراء والمعراج التى استعنت بها؟ هى على كل حال (قصة) لاتناقض بين أحداثها رغم طول وكثرة هذه الأحداث.. مما يدل على صدقها.

أما الذين ذكرتهم كأمثلة للتفسير العلمى، أقول: ليس هذا بتفسير علمى، التفسير العلمى أو غيره يتعامل مع حقيقة.. فإذا غيّر هذه الحقيقة فليس هذا بتفسير لها، بل افتراء عليها. الحقيقة واحدة دائما.. تشق إليها أى طريق تجده ممهدا لها: تأتى إليها من الشرق، من الغرب، من الشمال، من الجنوب، المهم تصل إليها كما هى.. والأحاديث النبوية غطت كل ما أشرت إليه من التعبيرات المجتهد فيها..فكان الأولى لأصحاب هذه الإجتهادات ـ الرجوع إليها (إلى هذه الأحاديث).

أما كلامى الذى لم تفهمه عن المكان والزمان ـ ليس بكلامى؟ ـ إنه كلام العلماء فى هذا العصر الذين رأوا أنه لافرق بين المكان والزمان أو بعبارة أصح هما شىء واحد يسمونه (الزمكان)، لشدة ارتباط أحدهما بالآخر لا ينفصل أحدهما عن الآخر. فلا نستطيع فصل الزمان عن مكانه. ولذلك أقول الزمن فى السماء غيره فى الأرض لأنه فى السماء.. والحدث الواحد ليس واحداً فى الأرض والسماء.. وهذا هو (الزمكان).

(بل إن هذا موجود ببساطة على الأرض نفسها تحت حكم آخر هو دوران الأرض ـ وخطوط الطول والعرض ـ فإن مثلا فى

ليلة الجمعة في واشنطن تستطيع أن تكون في يوم السبت في ذات الوقت، لو فرض أن هناك وسيلة سريعة جدا تنقلك إلى مدينة أخرى مثل القاهرة. فكل مكان له زمانه).

٤ ـ في قصة الإسراء والمعراج «معجزة» وهي أمر خارق للعادة،..

أقول: من أنكر ذلك يا سيدي، أما وأن تعاملت الرحلة مع كون أنا أراه وأفكر فيه وألمسه، وبأدوات يحاول صنع مثلها البشر.. وأنا لا أفهم لماذا..ولماذا؟ من تفصيلاتها.. وأحداثها والتي تساءل عنها القديم والحديث واحتار، حتى وصل الأمر بالبعض في هذا العصر لإلغاء هذه التفصيلات التي تتعبه ـ فهنا يكمن الخطر؟ ونهب جميعا للدفاع عن كل ذرة فيها.. ولكن كيف السبيل؟

هو ذات السبيل الذي اتخذه الله عز وجل مع العقول البشرية ـ وله المثل الأعلى في ذلك ـ إنه التقريب بما يشاهدون ويفعلون ويلمسون من حولهم..والمثل بالطبع أو المحسوس الممثل به المثل، ليس هو ذات الشيء.. لكنه للمساعدة على الفهم.. ولأننا نعلم أن المعجزة الإلهية دائما تكون للقوم من جنس عملهم.. فنحن في حديثنا عن معجزة الإسراء والمعراج ـ وهي من معجزات آخر الزمان في الرسالة الخاتمة ـ كان يجب أن نبحث عن موضع الإعجاز فيها أو بتعبير آخر نحدد الإعجاز فيها: هل في مجرد الانتقال في الفضاء، هل في سرعة هذا الانتقال؟ أم في ماذا؟

أقول هذا الإنتقال في الفضاء يمارسه أهل الكون من الثقلين

إنس وجن.. ومن زمن سحيق. حتى إن الجن كانوا يتسمعون إلى الملأ الأعلى.. أما الإنس أو سكان الكون فبرديات الفراعنة والمحفوظة إلى الآن تصف (الأطباق الطائرة) الآتية من أعماق الكون أو من وراء الشمس ـ كما يقولون ـ تصفها كما نراها أحيانا في سمائنا اليوم، وهم أول من قال بأن هذا الكون الذى نعيش فيه لسنا فيه وحدنا..[1]

ولماذا نذهب إلى بعيد ـ فمنذ عدة سنوات طاردت الطائرات البلجيكية طبقا طائرا ظل يحاورها ويداعبها كما يداعب الكبير الطفل. ولم تستطع اللحاق به فقد انطلق بسرعة رهيبة.

فى ذات السنة سنة ١٩٨٩ هبطت فى الإتحاد السوفيتى مركبة فضاء، وخرج منها رواد ثلاثة عمالقة أثاروا الرعب بين الناس. وكان أحدهم إنسان آلى، يلمسوه يمشى. وأنا أحتفظ بقصاصات جرائد هذا الحدث. وقد قاس علماء متخصصون آثار المركبة على الأرض، وفوجئوا بقوة مغناطيسية هائلة فى المكان.. مما يدل على أنهم يستخدمون قوى أخرى لا نعلمها فى الكون للانتقال السريع، وللسياحة فيه. وعندما سأل الشيخ الشعراوى عن ذلك.لم ينكر وجود آخرين معنا فى الكون..ولكنه قال أن التقاءنا بهم ـ كما تقول الآية[2]. مرهون بذهابنا نحن إليهم.

لكن أقول: من الممكن إذا أراد أحد الناس لقاء آخر.. فما

---

(١) عن كتاب/ الذين هبطوا من السماء/ أنيس منصور.

(٢) قوله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) ﴾ ٢٩ ـ الشورى.

على أحدهما إلا الذهاب لصاحبه. المستطيع لمن لم يستطع!
وربما يكون هذا ما حدث.. وجاء القادرون.

ولغويا فسر (النسفى) فى القرن الثامن الهجرى نفس الآية بوجود (أناسى) يدبون فى السماء كما يفعل أهل الأرض على أرضهم - فهم القرآن فهما لايحتاج إلى مركبات فضائية؟ كذلك قال الخازن. وأعود لأقول: السياحة فى الكون التى يقوم بها الجن ومخلوقات أخرى كونية من آلاف السنين، ليست المعجزة أيضا، إنما المعجزة - معجزة الإسراء والمعراج (كما ذكرت فى الكتاب) - هى فى الخروج من الكون المادى الذى تمثله السماء الدنيا. يقول الله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥) ﴾ ٣٣: ٣٥ سورة الرحمن - ولقد أخرج الله رسوله من الكون بقدرته، الأمر الذى لن يستطيعه إنس ولاجن إلى يوم الدين مهما تقدم العلم من أهل الأرض وأهل السماء سكان الكون المادى - كانت المعجزة فى الخروج من هذا الكون وأخرجه الله بوسيلة معجزة فى حد ذاتها.

فالمعراج صنعه الله ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾(١) - لنقل الناس ما بين الدنيا (السماء الدنيا) والآخرة (السماوات العلى) سواء أكانوا أحياء مثل الرسول - أو منتقلين بالموت. الشىء الذى لن يستطيع

---

(١) من الآية ٣ سورة المعارج.

صنع مثله الخلق ففيه قدرة الله وعلمه ﴿ ما أُوتيتم من الْعلْم إلاَّ قليلا (٨٥) ﴾ من الآية ٨٥ ـ الإسراء. وعن قدرة الله: من لايؤمن بذلك؟ ولكن هناك (دهاليز) فى النفس الإنسانية ربما تكون مرتبطة بطفولة الإنسانية عامة، حيث يكون المحسوس لديها أكثر وقعا مما سواه.. وهذا يشترك فيه عامة الناس وخاصتهم حتى ممن وصلوا إلى قمة الإيمان وذروة التصديق من الأنبياء، كسيدنا ابراهيم أبو الأنبياء.الذى صدّق الرؤيا وآمن بها حتى هم بذبح ابنه الذى ناله بعد عمر وشوق ورجاء. هذا المؤمن عالى الإيمان ـ عند معجزة «الاحياء» قال لربه يسأله ﴿ أرني كيف تُحيي الْموتى ﴾. لذلك سأله الله متعجبا من أمره: ﴿ أولمْ تؤمن؟! ﴾ وهو بالطبع يعلم قدر إيمانه وتصديقه[1] ولكنه يسأله عن هذا الطلب بالرؤية (أرنى). ولكنها كما قلت (نقطة الفعل المحسوس) وانطباع النفس الإنسانية عليه؟. فماذا كان رد سيدنا ابراهيم ـ قال: ﴿ بلىٰ ولكن ليطْمئنَّ قلْبي ﴾ أى لتطمئن هذه الجارحة فيه والتى يعلمها الله. لذلك استجاب لحاجته تلك فقال له ماذكره القرآن: ﴿ فخذْ أربعةً من الطَّيْر فصُرْهُنَّ إلَيْك ﴾.

وهذا هوالعزيز: ينظر إلى بلدة خربة فى طريقه وهو يركب حماره.. ويرى أنقاضها وماتحتها من عظام أهلها.. فيقول فى نفسه ﴿ أنَّىٰ يُحيي هٰذه اللَّـهُ بعْد موْتها ﴾. ويبلغ قوله هذا ربه ـ فيجرى عليه نفسه ما استبعده أوكبر فى خاطره ـ بأن أماته ١٠٠

(١) فهو القائل عنه ﴿ واذْكُرْ في الْكتاب إبْراهيم إنَّهُ كان صدّيقًا نَّبيًّا ﴾ ٤ ـ مريم ـ والصديق هو المصدق. بإيمانه.

عام هو وحماره. وأحياه بعد ذلك. والمائة عام لابد جعلته عظاما نخرة كالتى رآها.. ثم أصبح جسدا.. لحما حيا: هو بالطبع لم ير نفسه: فكان أن أجرى الله المعجزة أمام ناظريه.. وكسيت عظام الحمار لحما وهو ينظر. وكما أجرى هذه المعجزة وأتى به وبحماره من الماضى حيا، أوقف الله الزمن عن طعامه، فكانت معجزة أخرى ببقاء الطعام طازجا، وكان من أشد الأطعمة تأثرا بمرورالوقت، ألا وهو عصير العنب. ولنعلم نحن أيضاً أن الزمن يمضى أويبقى أويصير مستقبلا، فهذا كله لا استحالة فيه أمام قدرة الله.

كذلك الحواريون المصدقون بسيدنا عيسى ﷺ - وقد آمنوا بما يقول - ويرون ما يقوم به من معجزات بإذن الله فيحيى الموتى ويبرىء المرضى.. وليسوا فى حاجة إلى براهين أخرى محسوسة.. ويبدو أنهم صدقوا ما أحسوه ونظروه على الأرض، فماذا عن السماء التى تأتى منها الأخبار، والتى يتجه إليها عيسى ﷺ داعيا ربه.. ألا إلى محسوس منها من سبيل؟! فكان طلبهم هذا الغريب من سيدنا عيسى: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ سورة المائدة. يعنى أن يتنزه ايمانكم عن هذا المستوى المحسوس ويكون إيمانا قلبيا. قالوا: ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) ﴾ - أى من الذين رأوا بأعينهم، وليس بعد الشهود إثبات وتصديق.

وهكذا يجب أن نفصل بين الإيمان والتصديق فى النفس

الإنسانية، وبين حبها لهذا الإطمئنان الحسى لقضية إيمانية هى مؤمنة بها إيمانا قلبيا.

وإيمانى وإيمانك وايمان الآخرين فى هذا العصر ليس بأكبر من إيمان هؤلاء الذين سألوا الرؤية أو البرهان والمثل الحسي. وهل كان أيضا سيدنا موسى - الذى يكلمه الله ويخبره الخبر الحق - ايمانه قليلا أو ناقصا، عندما سأل ربه: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾؟ - ولكننا سنقول هنا ربما كان متشوقا لرؤية ربه الذى يحادثه دون أن يراه، وليس لشيء آخر..

هذا وبالرغم من أن سيدنا محمدا ﷺ لم يطلب مثل هذه الرؤى المحسوسة من ربه، إلا أن الله شاء وأراه تلك المرائى ممثلة فى رحلة الإسراء والمعراج. فرأى من الغيبيات بعينيه ولمسها بيديه.. مثلما شرب من نهر الكوثر، ماء أحلى من العسل.. وهذا يكفى للرد على المعاصرين الذين يحسبونها مجرد رؤى أو صور.. وتقول فى فقرة أخرى:

(ويخيل إلى أن محاولات الاقناع العقلى والعلمى بما ورد فيها «رحلة الإسراء والمعراج» تعطينا فى النهاية أن ما حدث يسير حسب السنن والقوانين الكونية).

أقول: «المعراج» - معجزة اخترقت القوانين الكونية للمادة، فى عدة نقاط: فقانون السرعة أخترق، وقانون الكتلة..وقانون المادة الجامدة...والحية.. عندمابقى المعراج كما وصفه سيدنا رسول الله (فى حديث الاسراء لابن عباس) عندما قال عن مادته

وأدراجه (وهو مرقاة من الذهب ومرقاة من الفضة ومرقاة من الزبرجد ومرقاة من الياقوت).. كذلك بقي جسده الشريف ﷺ ولم يحوّل إلى طاقة. وهذا لايمكن على حسب قوانين الكون والحركة فيه. فالقانون الذى بنى عليه كيانه (كحى) اخترق ـ وهذاربما ما فعله به سيدنا جبريل قبل بدء الرحلة.

الرحلة معجزة تتحدى علم البشر وقدراتهم فى كل مجال.. وإن كان الله قد سيّرها فى طريق مسيراتهم لينقل نبيه بها فى فراغ الكون كما يحاول البشر والكائنات الكونية..لكنهم لن يخترقوا أبدا هذا الكون لما هو بعده ـ وهم ما زالوا أحياء ـ هذه هى المعجزة الأساسية للمعراج.

٥ ـ روايات الإسراء والمعراج فى «تفصيلاتها المتنوعة» روايات آحاد.. ونحن نعرف أن «المتواتر» هو الذى يستدل به فى العقائد أما «الآحاد» فيستدل بها فى الأحكام..

أقول:

ودون دخول فى هذه المصطلحات (روايات آحاد) أو (متواتر) ـ رغم أن للبعض رأى آخر فى أحاديث الإسراء والمعراج، وأنها من المتواتر فأنا مادمت لا أنفى الاعتقاد بأن النبى ﷺ، بقدرة إلهية صعد إلى السماوات العلى وإلى الملأ الأعلى، وكان من ربه (قاب قوسين أو أدنى)، فكيف أستدل على ماجاء فى القرآن بآحاد أو جماعات؟. ثم إن المعراج ومرائيه قد ثبتت بالقرآن والسنة الصحيحة معا.. يعنى بسنة من أتى لنا (بالعقيدة) ذاتها..!

٦ ـ فى الحقيقة لم أفهم ما كتبته المؤلفة عن السالب والموجب والزمان والمكان.. والغيب..

أقول أولا:

كانت مجرد ايضاحات لما ذكرته فى المثل الأصلى وهو حكم أو قانون الانتقال فى الفضاء.

ثانياً: أنا لم أقل أن النبى ﷺ رأى قبل أو بعد بالنسبة لزمن القيامة والحساب، كما سألت: كيف رأى النبى الحدث قبل وقوعه وكيف رأى الناس فى الجنة أو النار وهم كانوا أحياء على الأرض (أسئلة آخر الكتاب).. ولكنى أقول أنه رأى (حين).. الحدث.. بمعنى: أنه إطلع على حدث القيامة والحساب حين حدوثهما (فى المستقبل) لأنه ذهب ووصل إلى هذا المستقبل وكان هذا هو عمل المعراج الذى نقله نقلة زمنية من الحاضر إلى المستقبل بطيّه للزمان والمكان، وفى هذا الشأن سأضرب لك مثلا قد يقرّب لك المسألة الغيبية وعلاقتها بالزمن: أعرف أنك من سكان القاهرة.. ولنفرض أن لك اختا فى بيت العائلة ـ ولنفرض أيضا أن هذا البيت فى الإسكندرية، وقيل لك إحضر، فسيعقد قرانها فى المساء، الساعة السادسة. فماذا ستفعل؟. ستستقل سيارة أو قطاراً وتتوجه إلى الإسكندرية.. خرجت مثلا من بيتك فى القاهرة فى الساعة الثالثة أو الثانية والنصف. وصلت إلى بيت العروس، ووقع نظرك على الآتى:

المأذون وقد أمسك (دفتره) والعروس توقع فيه عقد قرانها..

فهل عندما خرجت من بيتك فى القاهرة كان هذا الحدث يتم: (التوقيع على عقد القران)؟ أم هو تم بعد وصولك ونظرك اليه؟. بالطبع تم بعد وصولك ورؤيتك له رأى العين ـ لماذا؟ لأن عند

خروجك كانت الساعة الثالثة فقط، وموعده فى السادسة.. وأقول لو أن قدرة ما أعادت الوقت أو الزمن مرة أخرى إلى الماضى أى إلى الساعة الثالثة مثلا مرة أخرى، ماذا كان سيكون المنظر أمامك.. هل كنت سترى هذا المنظر (التوقيع)؟ بالطبع: لا.. ماذا كنت سترى؟

سترى نفسك وأنت مازلت على باب بيتك فى القاهرة تتأهب للرحيل، بينما أختك هناك فى الإسكندرية تستعد للزفاف..

وهذا ما حدث فى الإسراء والمعراج: قطع الرسول الزمن للوصول ـ وهنا الزمن ليس ثلاث ساعات ـ ولكن قل مثلا سبعة آلاف سنة حتى وصل الى السماء السابعة، فهذا بعدها عن الأرض ولاتبعد أقل من ذلك. عندها كان قد حان موعد الحساب، ورأى بعينيه ما يجرى فيه. ولو أن قدرة أعادته إلى الزمن قبل هذا الموعد وأرجعته هذه السنين (٧ آلاف سنة)، التى قطعها مسافرا فى الزمان حتى وصل السماء السابعة.. ماذاكان سيرى؟. سيعود إلى الزمن الذى جاء منه قبل أن تبدأ الرحلة:

زمن الأرض فى مكة.. وهذا ما حدث بعودة المعراج.

ستقول ما غاب الرسول هذا الزمن الطويل عن الأرض؟!

أقول: هذا الزمن قطعه فى السماء وعاده منها. كذلك زمن المعراج هو زمن خاص بالسماء، لايمر على الأرض لأنه فى (مستقبلها) ـ كما سيأتى شرح ذلك فى نهاية الكتاب (فى إجابة الأسئلة).

٧ ـ القرآن ليس كتاب علم..

وأقول:

إذا لم يكن كتاب من علّم العلم علما.. فماذا يكون؟ ـ ولله المثل الأعلى ـ الطبيب إذا كان له كتاب سيكون فى الطب. والمهندس إذا كان له كتاب سيكون فى الهندسة. وعالم الذرة سيكون له فى ذلك العلم ـ حتى الفنان يكون فى الفن.. وهكذا.. فما بال كتاب من علم الانسان حياته؟ إنه كتاب شامل، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى وهو يعدد أمم المخلوقات:

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ من الآية ٣٨ ـ الأنعام[1].

إن القرآن كتاب علم: ليس لدراسة العلم بالتفصيل ـ فهذا تركه للبشر كي يتعلموا حياتهم ـ ولكنه بدون تفصيل، هو يحتوى على الكثير من الحقائق العلمية التى لايدركها البشر إلا إذا توصلوا إليها.

ولكى نفهم مثلا قول الله سبحانه ﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ وهو يقول (خلقهن) بالجمع..؟ حقيقة علمية كونية تتناول معنى (القمر) وغير ذلك من حقائق أشرت إليها فى كتاب /خلق السماوات والأرض. فهى لاتفهم إلا فلكيا، أى بعلوم مادية.

ولنفهم قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا ﴾ نجد فى النص من المعانى، قضايا علمية كثيرة منها أنه قال

---

(١) ويقول ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الآية ٨٩ ـ النحل.

(جعل) وليس (خلق) فالجعل يأخذ مراحل من الخلق[١].. أى أنه يحكى تاريخ النبات بكلمة واحدة. ثم إن الآية تشير إلى تخزين النبات لطاقة الشمس لتخرج بعد ذلك طاقة حرارية أو ناراً ـ أيضا بكلمة واحدة (الأخضر). فهذا الخضار تقوم فيه عمليات كيماوية حيوية فيها العجب أكبر عن الإسراء والمعراج[٢]. كذلك عن ماء البحر والنهر يقول (بينهما برزخ لا يبغيان). لهذا البرزخ قوانين علمية معقدة تتحكم فيه، وقوله ﴿ ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ﴾. وهذا انكسار الضوء بين طبقات الماء ـ معلومة حديثة. وقوله ﴿ فاسْلُكِي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً ﴾ ـ النحل.

قال أحد العلماء أستطيع أن أكتب فى قوله تعالى (فاسلكى سبل ربك ذللا) مجلدات.. لماذا؟ لأنه فهم هذا التذليل لسبل النحل أو طرقهم.. فالنحلة لولا أن هداها الله لتحديد مكان الرحيق لباقى أفراد الخلية لماتوا جوعا أو لشق عليهم أمر عيشهم.

تأتى الباحثة عن الرحيق أو المكتشفة له، وتقوم أمام الآخرين برقصات تعبر بها عن الجهات الأربع ووضع الشمس بالنسبة للطريق، واتجاه الرياح وغير ذلك .. (كعالم فلك). وأيضا لأمور أخرى كوجود أعداء أو.. أو.. إلخ. كل ذلك لتسهل وتذلل السبل. والكلام لاينتهى عن وجود إشارات علمية فى القرآن الكريم. وأنا أحيى تفسير (المنتخب) الصادر عن المجلس الأعلى للشئون

---

(١) كما أوضحت ذلك فى كتابى الأول من السلسلة.
(٢) ذكرتها أيضا فى الكتاب الأول. ويحتمل المعنى أيضا نوعاً معيناً من الشجر كان يعرفه العرب للحصول على النار.

الإسلامية، الذى خصص للتفسير العلمى فيه مكانا. ووجود العلم فى القرآن أمر طبيعى. فالعلم جزء من جسد الحياة.. التى يدور حولها التشريع للإنسان ـ وسبحان (الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم).

وبعد:

لم يبق إلا سردى مرة أخرى لما قلته فى الإسراء والمعراج ـ بطريقة ميسرة ـ فماذا قلت؟

ببساطة أيدت، ما قاله النبى ﷺ عن رؤى رآها رأى العين. وما يرى ليس خبرا أو شيئا مقدّرا. فالمقدر لايكون حقيقة تلمس وترى بالعين.. وهذا ما أدافع عنه، وما دافع عنه الله فى قوله تعالى (أتمارونه على ما يرى). أى تكذبون عينيه هذه التى رأت، وتجادلونه فيما يرى. كانوا بالطبع يقولون كيف؟ وهل هذا معقول؟.. لا نتصور ـ كقولك: (شىء بعيد عن التصور والمنطق).. بينما يخاطب النبى سيدنا بلال وقد جمع الناس ضحى، قائلا لهم: سمعت وخش نعال بلال فى الجنة. والتفت إليه وقال له فبما سبقتنى إليها؟(١).

واسمع جيدا هذه الكلمة (سمعت) ـ فهل يسمع المقدر الذى سيحدث بعد حين؟ وقوله أيضا له فبما (سبقتنى إليها) ـ وكأنه رآه قد (ذهب) إليها بالفعل، ولولا هذا السمع ولولا هذا النظر لما كانت الرحلة على الإطلاق. فالإخبار بالوحى غطى كل الأمور

---

(١) قال بلال حينها انه دائما على وضوء وإذا توضأ صلى.

وأوضحها. أما أن آخذك فى زيارة لترى على الطبيعة ما أخبرتك به؟ ـ فهذا شىء آخر..

وقولك (سيحدث بيقين عندما يحين وقته). أقول: ومن قال غير ذلك؟ بالطبع سيكون هذا. نحن الآن مازلنا فى حوالى سنة ٢٠٠٠ م وماراه النبى كان سنة ٧٦٠٠م مثلا على أقل تقدير.. فهل حان الوقت؟. إن لم يكن ـ وهو كذلك ـ فانتظر إذاً ٥٠٠٠ سنة كى ترى بنفسك ما رآه النبى؟!. وهو ما يقرب من خمس مرات أو أربع، قدر الوقت الذى مضى منذ بداية البعثة المحمدية. أو قل هو ما يقرب من بعثة سيدنا موسى عليه السلام. وهل ستبقى الأرض إلى هذا الحين؟ قال النبى ﷺ بعثت والساعة كهاتين.. وبعد فالله نقله بقدرته إلى هذه الساعة. أما لماذا ٥٠٠٠ سنة و٧٦٠٠ سنة.. بالذات؟ لحديث الرسول: (هل تدرون ما فوقكم..) وحتما قرأته فى الكتاب. وهو يحدد البعد بين السماء والأرض بـ ٥٠٠ سنة. ونحن أخذنا هذا الأمر على علاته.. ولو قارناه بسرعة الضوء، لقلنا: هذا البعد لايقطعه إلا جسم فضائي سرعته قدر سرعة الضوء ٠٠٠ ٠٠٠ر٤٠ (أربعين مليون مرة).. تقريبا.

وإذا كان عندنا سبع سماوات ما بين كل سماء والتالية لها ٥٠٠ سنة وعرضها كذلك.. إذاً من يقطع سماء فقد قطع من الزمن ١٠٠٠ (ألف) سنة.

والنبى ﷺ قطع هذه الألف سنة فى لحظة (طرفة عين) ـ لماذا؟ هل لأن الألف سنة ليست ألف سنة؟! ـ لا فهى بعد كالمسافة مثلا بين القاهرة والإسكندرية لايتغيّر. إذاً هو قطع ١٠٠٠ سنة

لكل سماء، وهى سبع.فيكون قد قطع لآخرها ٧٠٠٠ سنة. وإذا كانت الأرض فى زمنه فى سنة ٦٠٠م تقريبا عندما تركها متوجها إلى السماء.. فلو فرض أنه نظر فى تقويم (نتيجة) معلق فى السماء السابعة عند وصوله إليها أو كانت معه ساعة (كونية) تحسب السنوات مثلا.. لرأى أنه فى هذا المكان هو فى سنة ٧٦٠٠ ميلادية. لأنه على بعد سبعة آلاف سنة من الأرض. واسمع قول الله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾. والملائكة إذا صعدت إلى السماء ـ ومنهم جبريل عليه السلام ـ لاتتعدى سدرة المنتهى.. وعلى ذلك تكون سدرة المنتهى علي بعد ٥٠،٠٠٠ سنة من الأرض: اذهب إليها تكون على هذا البعد الزمنى عن الأرض.. حتى لو قطعت هذه الخمسون ألف سنة فى لحظات، كما يقطعها الملائكة أحيانا. وحقا القيامة لم تقم على الأرض، ولو نزل النبى للأرض على حساب الزمن الذى كان فيه في السماء ما وجد الأرض!.. لأنه كان فى زمن بعد زمن الدنيا.. وحين ذلك تكون الأرض قد انتهت..

لكن المعراج كما طوى الزمان نحو المستقبل ليلا.. فقد عاد أدراجه للماضى ليلا أيضا.. فبقطع الزمان والمكان ووصوله لمكان الدنيا مرة أخرى.. أصبح فى زمانها الذى كان قد سبقه.. اذ عاد إلى زمن ومكان انطلاقه من مكة سنة ٦٠٠م[1].

(١) وكان حتميا أن يسافر ليلا ويعود ليلا «لأن الخروج من المجموعة الشمسية التى فيها الأرض ـ يستلزم الاتجاه نحو أعماق الكون وليس تجاه الشمس ـ لذلك يكون الخروج من الجزء المظلم من الأرض وهو ليلها =

وأوضحها. أما أن آخذك فى زيارة لترى على الطبيعة ما أخبرتك به؟ ـ فهذا شىء آخر..

وقولك (سيحدث بيقين عندما يحين وقته). أقول: ومن قال غير ذلك؟ بالطبع سيكون هذا. نحن الآن مازلنا فى حوالى سنة ٢٠٠٠ م وماراه النبى كان سنة ٧٦٠٠م مثلا على أقل تقدير. فهل حان الوقت؟. إن لم يكن ـ وهو كذلك ـ فانتظر إذاً ٠٠٠؛ سنة كى ترى بنفسك ما رآه النبى؟!. وهو ما يقرب من خمس مرات أو أربع، قدر الوقت الذى مضى منذ بداية البعثة المحمدية أو قل هو ما يقرب من بعثة سيدنا موسى عليه السلام. وهل ستبقا الأرض إلى هذا الحين؟ قال النبى ﷺ بعثت والساعة كهاتين وبعد فالله نقله بقدرته إلى هذه الساعة. أما لماذا ٥٠٠٠ ، و٧٦٠٠ سنة.. بالذات؟ لحديث الرسول: (هل تدرون ما فوقكم وحتما قرأته فى الكتاب. وهو يحدد البعد بين السماء والأر بـ٥٠٠ سنة. ونحن أخذنا هذا الأمر على علاته.. ولو قـ بسرعة الضوء، لقلنا: هذا البعد لايقطعه إلا جسم فضائي ، قدر سرعة الضوء ٠٠٠ ٠٠٠ر٤٠ (أربعين مليون مرة).. تقر

وإذا كان عندنا سبع سماوات ما بين كل سماء والتا ٥٠٠ سنة وعرضها كذلك.. إذاً من يقطع سماء فقد الزمن ١٠٠٠ (ألف) سنة.

والنبى ﷺ قطع هذه الألف سنة فى لحظة (طرف لماذا؟ هل لأن الألف سنة ليست ألف سنة؟! ـ لا فهى بعـ مثلا بين القاهرة والإسكندرية لايتغيّر. إذاً هو قطع

أسئلة عما جاء في الكتاب

س : كيف رأى النبى * القيامة والحساب قبل «أوانهما» أو موعدهما؟

جـ : بل فى «أوانهما وموعدهما» لأنه ذهب إلى هذا «الأوان». فعندما صعد إلى السماء السابعة صار فى مكان الحساب أى فى زمن الحساب.. حتى ولو صعد على جمل.. لأن البعد الرهيب بين تلك السماء والأرض، إن لم يكن ملايين السنين فهو آلاف السنين. لكن عيب الجمل أنه سيقطع هذه المسافة فى ملايين السنين أيضا. وحتما عندما سيصل بعد هذه الملايين ستكون القيامة والحساب فى موعدهما فى السماء وفى الأرض كذلك.. والله قادر بدون وسيلة على اختراق نبيّه للزمن حتى يرى القيامة وهى تقوم فى موعدها على الخلق..

س :الجنة والنار ليساموجودتين الآن - وقول وجودهما هو قول المعتزلة.

جـ : وما قولك فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ - النجم. وربما هذا عن المستقبل الذى رآه..؟ فما قولك عن الماضى فى قوله ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ - من الآية ٤٦ - سورة غافر. وهؤلاء هم آل فرعون الذين ليسوا أبناء اليوم ولاغد، بل لقد مر على موتهم - إن لم يكن عشرة آلاف سنة - فعلي الأقل سبعة آلاف سنة وهم يعرضون على النار!.

وقال رسول الله ﷺ لسلمة بن الأكوع حال استشهاد أخيه عامر فى إحدى الغزوات:

(إنه الآن يسبح فى بحار الجنة)؟.

ويقول الدكتور عبدالصبور شاهين: (ولاشك أن الرسول ﷺ تخطى الزمن الذى يعيش فيه. ولسوف نرى فى المعراج كيف يتجاوز رسول الله الزمن القادم فيرى الجنة ويرى النار ويرى الملأ الأعلى، وسيطلع على أمور لم يأت أوانها بعد..لقد كان على الأرض شىء من هذا عندما جمع الله له النبيين فى بيت المقدس، وصلى بهم إماما.. أى: إنه أرجعه إلى الماضى وجاء بالنبيين منذ آدم إلى إبراهيم إلى عيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فوقفوا جميعا صفا واحدا. وصلى بهم إمامهم محمد صلى الله عليه وسلم. معنى ذلك أنه فتح باب الزمان الذى مضى على هذا المشهد الكونى الذى أنجزته قدرة الله فى هذا المكان. وفى هذا المشهد لامجال لقوانين الأرض، وإنما هى قوانين أخرى لاتتقيد لا بالزمان ولابالمكان.. رأى محمد ﷺ تجاوز الزمان الحاضر برحلة تمت فى لحظة، ثم رأى أيضا تجاوز الزمان الماضى فإذا بالزمان ليس فيه ماضى، وإذا بالماضى حاضر معه.. بقدرة الله تبارك وتعالى/ كتاب مع الرسول فى اسرائه ومعراجه ص ٥٥.

س :كيف يكون الناس على الأرض وفى الجنة أو النار فى ذات الوقت؟

جـ : إنه كسؤال الخازن منذ ما يقرب من ألف عام؟

وهو ما فجر التفكير فى المسألة برمتها..

وأقول:

مثلاإذا فرضنا أن (الحساب) هو بعد الآن أو بعد سفر الرسول من مكة بمليون سنة واحد، فكيف يراه وبينهما هذا المليون من السنوات؟.. أقول: الله جعله يقطع المليون سنة فى ساعة أو دقائق، فأصبح فى زمان ومكان الحساب.

وبعد الرؤية نزل. وبنزوله تراجع فى المكان والزمان نفس المليون سنة الذى كان قد سبق به الزمان على الأرض فى صعوده. وعلى هذا لم يكن رؤية الناس فى الجنة أوالنار فى ذات الوقت..

الوقت فى السماء وعند آخر: الدنيا (السماء الدنيا).. وصل إلى وقت الحساب.. أما الزمن فى الأرض فهو كان ومازال قبل ذلك بكثير ـ بالمليون سنة ـ التى افترضناها تفصل ما بين الأرض والسماء، أو مابين زمن الأرض والسماء.

س :إذا رأى الرسول ﷺ (الحساب)؟ فكيف يحدث حدث فى المستقبل؟

جـ : أليس كل حدث مستقبلى سيحدث فى المستقبل؟! والمستقبل بالوصول إليه يصبح حاضرا بالنسبة لمن وصله ويعيش فيه.. يحدث فى مكانه هذا.. وهو ما رآه النبى فى حاضره هذا الذى ـ بالنسبة لنا مستقبل ـ يعنى رأى فى نفس الزمن الذى تحدث فيه هذه الأحداث، لانتقاله لهذا الزمن.

س : ولماذا وجدها (الأرض) بعد العودة من الحساب؟

جـ : وكأنك تقول: لماذا وجدها قبل الحساب؟. لأنها موجودة بالفعل قبل الحساب.. فأين ستذهب قبل الحساب؟ هو تراجع لهذا الزمن ـ أى لما قبل الحساب.. ولو فرض أنه ظل فى زمن الحساب أو ما بعده فى المستقبل.. ووصل إليها، أو بحث عنها فى نفس هذا الزمن المستقبلى.. ما وجدها. هو بالتراجع المكانى وبالتالى الزمانى، الذى تم فى لحظة، وجدها فى زمنها قبل الحساب، الذى لم يصل إليها ولم تصل إليه.

س : (سؤال لم يسأله أحد): هل قامت القيامة أم لم تقم؟

جـ : ستقوم!.. فى هذا الزمن المستقبلى الذى وصل إليه النبى بالمعراج لآخر الدنيا.. وكيف رآها تقوم؟: لأنه رآها فى نفس هذا الوقت الذى تقوم فيه فى الأرض وفى السماء، وفى الكون كله، كان حاضرا هناك فى هذا الموعد بعد ملايين أو آلاف السنين الآتية لأنه بقدرة الله وصل لهذا الزمن.. زمن قيامها الحقيقى. وهذا ما عمله المعراج له بإذن ربه حين طوى له الزمن حتى أوصله لزمن قيامها ـ ورآها رأى العين ورأى الحساب فى وقت ما سوف يحاسب الناس بالفعل. وتذكروا قول الله تعالى: فى طى الزمن:

﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالـرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ـ المعارج. وهو يوم سماوى يساوى ٥٠ ألف سنة من سنين الأرض، وإن كان هو يوم القيامة. لكنه يوم مثل أى يوم

سـمـاوى... فـهل الملك أو الروح ـ وهى تعـبـر هذا اليـوم السماوى الذى يساوى ٥٠ ألف سنة من سنين الأرض، تغيب عن الأرض هذه المدة (٥٠ ألف سنة؟) كذلك أرواح البشـر أو نفوسـهم؟. الواقع يقول: لا ـ وإلا استـغـرق الملك هذا الوقت الطويل ليـصل إلى ربه بالأمـر من الأرض إلى السـمـاء: أو موضعه من السماء. كذلك (أرواح) العباد قبل نزولها للجسد مرة أخرى عقب الموت للسؤال. فالواقع يقول أنه وقت قصير حتى تعود الروح للجسد قبل أن (يرم). كذلك الواقع يقول أن بعض الملائكة كانت تنزل من السـمـاء فى الحروب لنجدة المسلمين، وعند الإسـتـغـاثة برب العالمين من أحد خلقـه ولم تمضى على الإستغاثة بضع دقائق. أقول هذا معناه أن الروح والملائكة يطوون هذا اليوم السماوى فى لا أزمان أرضيـة ـ كما حدث فى المعراج وهذا اليوم واقعه ٥٠ ألف سنة. ملخص القول:

أنه:

عندما تقطع المسافات الهائلة فى السماء ويقطع معها الزمن، فلا استبعاد للوصول إلى زمن أبعد فى السماء عن الأرض ـ قـد يصل إلى يوم القـيـامـة.. وزمن الحـسـاب ومكانه. وهذا بقدرة الله.

س : كيف رأى النبى ﷺ سيدنا بلال فى الجنة ـ أو سمع خـصف نعـاله..وهو كـان هنا على الأرض (سـيـدنا بلال)؟!

جـ : كما رأى أى شىء آخر فى الآخرة أو يوم الحساب؟!.. بلال الكائن على الأرض حينذاك هو بلال الحى على الأرض قبل يوم الدين والحساب. وعندما كان الرسول ﷺ فى السماء السابعة، كانت القيامة ـ على حساب هذا الوقت ـ قد قامت فى الأرض والسماء.. لأنه قطع إليها الزمن من الأرض للسماء وهو آلاف السنين مثلا.. ولاتظنوا أنها قامت على الأرض الحالية؟!.. هذه الأرض الحالية هى فى الماضى أو الحاضر بالنسبة له، لأنه هو كان فى المستقبل، وهى ليست بعد فى هذا المستقبل وهو يوم القيامة والحساب. إنها تقوم على أرض المستقبل فى زمان القيامة.

ملخص الإجابة عن السؤال: هو رأى (بلال/ المستقبل).. بلال الذى قطع إليه آلاف السنين.. فرآه بعد موته. وبعثه وحسابه!.

فالقيامة لم تقم (الآن) لافى الأرض ولافى السماء ـ ولكنها تقوم (بعد الآن) بمقدار السنوات التى طواها المعراج حتى وصل لزمان قيامها هذا بعد الدنيا(١). ورحمة بالرسول ﷺ الحى فى دنياه لم يره الله نفسه (أى نفس الرسول) كما أراه أو أسمعه بلال؟.. أو هو رآها كما يقول البعض.. ولكنهم لايتصورون أنه رأى نفسه التى هى نفسه.. وتلعب بهم الهواجس!..

---

(١) يعنى النبى رآها فى الوقت الذى (ستقوم) فيه ويحدث الحساب بالفعل ـ لأنها قيامة واحدة للأرض والسماء.

س : (سؤال أسأله لنفسي):

لماذا لم يخرق الله الزمن للنبي وهو كائن على الأرض؟ ـ وبذلك يرى في مكانه بدون سفر؟

جـ : أولاً: السفر لم يكن بالمشقة المتصورة ـ إنها (طرفة عين) ـ لحظة زمن، فهذه الوسيلة: (المعراج) الذى سافر به النبى وانتقل للآخرة.. تجلّت فيه قدرة الله لقطع المسافة بين الأرض والسماء، والتى يقطع الضوء أقل منها فى عشرين ألف مليون سنة ضوئية ـ قطعها هكذا فى لحظة..

ثانياً: معنى خرق الزمن هو طيه للوصول لنهايته، والرؤية لما بعده.. فكيف يمر مثل هذا الزمان على (وجود) مثل الأرض أو حتى على الدنيا بأكملها.. لو مر أقل من هذا الزمن على الأرض... لما كان لها بعده وجود ـ كما سبق وأشرت ـ فهل سيرى النبى بعد عشرين ألف مليون سنة أو أكثر.. يطويها الله له.. نفس الأرض التى يقف عليها أو الدنيا التى هو كائن فيها.. ينظر؟.. لو اجتمع الحاضر والمستقبل فى نفس المكان لناظريه.. لو حدث ذلك.. فربما تكون رؤيته هذه للمستقبل.. رؤية ليست فعلية: بمعنى عدم حضوره الفعلى للمستقبل أو مكانه، وإنما ستكون من باب التصوير له لأن انتقاله بالفعل للمستقبل، بنفى وجود الحاضر فى نفس المكان.. كما حدث فى صعوده بالمعراج..

إذاً هذه السنوات الطويلة التى تمثل مـا بقى من زمن الدنيا حتى الوصول إلى زمن الحساب، والتى قطعها النبى بالمعراج، كان يجب أن تمر عليه فى (وجود) وزمن سرمدى ممتد، لاتمثل فيه هذه السنوات شيئا يذكر.. وإذا مر الزمن بالنبى إلى هذا الحد.. فهو ينظر فى الآخرة بعد الدنيا حقا. وهذا ما حدث..؟.

ثالثاً: الآخرة أو الدار الآخرة لها مكان آخر.. يجب الذهاب إليه.. هى خارج الدنيا (أى السماء الدنيا) التى تضم الكون المادى الزاخر بالمجرات وغيرها كما نعلم، والذهاب إليها يستلزم هذا المشوار الطويل ـ القصير ـ على قدرة الله ووسيلته التى امتطاها النبى، ألا وهى المعراج.

س : ما قيل فى الكتاب هو خيال علمى كما نشاهد فى (الأفلام) الأجنبية (ساعة الزمن) التى تذهب الإنسان إلى المستقبل أو الماضى..

جـ : أولاً: لم أشاهد هذه (الأفلام) ـ لأنى أقاطع (أفلام) الخيال عامة (حتى أفلام الأطفال) ـ بسبب مناظرها المشوّهة اللانسانية ولا أتحملها..

وإذا كانت خيالا علميا، فهى قطعا مبنية على (حقيقة) الانتقال فى الفضاء (قوانين التحرك فى الفضاء). أما لماذا يعتبرها صانعوا هذه (الأفلام) خيالا علمياً وليس حقيقة.. لأنه لم توجد بعد الآلة التى تسير بأسرع من الضوء فى حياة البشر،

وبالتالى لم يوجد من يسافر بها عير الزمن..

أما إذا وجد ذلك؟.. أصبح الخيال واقعا.. وبالفعل على الساحة الإسلامية (الوسيلة) السريعة جداً بسرعة تفوق سرعة الضوء..

ووجد أيضا من سافر بها عبر الزمن - وهو الرسول عليه الصلاة والسلام - بقدرة الله..

أقول: لو كان صانعوا هذه (الأفلام) يعرفون ذلك، أو هم يؤمنون بالإسراء والمعراج - كما نؤمن نحن المسلمون لما قالوا عنه خيال علمى.. بل حقيقة حدثت بالفعل.

تعليق أخير على فكرة الكتاب.

إذا كان الرسول ﷺ لم ير الحساب (حقا) فى السماء (يعنى فى زمانه ومكانه)، أو كان عنده شك فيما يرى - لسأل جبريل فى ذلك [كما كان يسأله دائما عن كل شىء يراه).

وإن كان الأمر مجرد (نماذج) لتعريفه بيوم الحساب.. وما يحدث فيه.. لأخبره جبريل وقال له:

إن الله يريك (مثلا) ليوم الحساب. ولم يقم بعد الحساب.. أراك ذلك لتقول للناس: هذا ما سوف يحدث لكم. وكان النبى بعد نزوله للأرض يخبر الناس بهذا التمثيل له ليوم الحساب..

ولكن كيف توضع فى الجنة نماذج؟. وكيف توضع فى النار نماذج تصرخ وتستنجد والعياذ بالله - بينما الجنة بأنهارها

وأشجارها حقيقية.. والنار بجحيمها كذلك!..

وعن القول:

بأن (العامة) لن يفهموا هذا الكتاب ـ أقول: ومن قال أن العامة فى حاجة لمثل هذا الكتاب لفهم الإسراء والمعراج؟

اللهم ارزقنا إيمان العامة.. إنهم بدون فهم لقانون أو حتى معرفة لإسم نظرية.. أو شيء عن نسبية الزمن، ولاغير ذلك من أمور.. هم يؤمنون حقا وصدقاً إيماناً راسخاً موروثاً، من قبل هذا الجيل وهذا العصر العلمى، بأن النبى ﷺ صعد إلى السماء ورأى من مظاهر الحساب والآخرة كذا.. وكذا.. ولم يفكروا قط، ولم يحاولوا قط، تقدير أنه رأى غير ذلك.. لأنهم لم يشكوا أبدا فى هذه الحقيقة المتأصلة فى نفوسهم ـ تصديقاً لكلام الله ورسوله.

وفى ختام الكتاب وختام (الأسئلة).. لى سؤال أطرحه أخيراً على نفسى ـ فقد يكون غائبا عن ذهن غيرى:

س : كيف تقولين: انتظر سيدنا جبريل النبى ﷺ فى سدرة المنتهى ٤٩٠٠ مليون سنة[١] ـ فمادام هذا الوقت انتظارا ـ فهو يمر على الأرض أيضاً؟!

جـ : أولاً: الحوار الذى دار بين سيدنا جبريل والنبى ﷺ ـ وفهمت منه تلك الحقيقة ـ ليس قولى.. بل ذكره كتاب/ أسرار

---

(١) يعنى ٩ر٤ بليون سنة (أطول من عمر الأرض ٥ر٤ بليون سنة).

الإسـراء والمعـراج/ للمـرحـوم مـحـمـد فـهـمى عـبـدالوهاب/ منشـورات دار الاعـتـصـام. ولم يبين مـصـدره.. وحـتـى لو لم يذكره، أو يأت هذا فى حديث نبوى.. فـهو فى الحقيقة ليس شيئاً مستبعداً، لا دينيا ولا علمياً..؟ بتأكيد العلم الحديث لمثل هذه المسافات الفضائية التى لانتخيلها. الكون المادى الذى نعيش فيه، وهو داخل السماء الدنيا أى. بعضها.. صور العلماء حاليا مساحة منه عبارة عن جزء من عشرة آلاف جزء ـ فكانت ما يعادل ٥٠٠ مليون سنة ضوئية ـ وبحساب سعة الكون على هذا الأساس تكون سعته حوالى: ٥ مليون مليون سنة ضوئية ـ والله أعلم[1]. وإذا اجتازه النبى فى صعوده فقد قطع ما يقرب من هذه السنين. وهذا الكون: قلب فقط السماء الدنيا ذات الأفلاك ـ لا كلها ـ هو جوفها.. ونقطة البداية للسماوات السبع والأرضين السبع الدائرية الملتفة حوله.. يعنى هو (المركز) لها ـ فما قدر ما هو خارج هذه السماوات السبع وبالطبع أوسع منها ـ وكل ذلك اجتازه الرسول فى رحلته ـ هذا: أولا.

ثانياً: الوقت كان انتظاراً لسيدنا جبريل.. ومسارا لسيدنا محمد يطويه، وكلاهما كان فى السماوات بعد الدنيا.. الآن نستطيع أن نقول أن زمن رحلة الإسراء والمعراج الفعلى الذى من على الأرض هو زمن (الإسراء) فقط (لأنه زمن أرضى).. انتقل فيه

---

(١) بتطور ادوات العلم تزيد الاكتشافات عن الكون ـ وتصبح هناك معلومات جديدة دائماً: المؤلفة.

البراق فى أجواء الأرض من الحجاز إلى فلسطين بالنبى ﷺ.

فالوقت الذى استغرقه فى هذا الانتقال (ونقول ربما كانت سرعة البراق كسرعة طائرة).. ثم الوقت الذى أمضاه النبى فى المسجد الأقصى مع الأنبياء.. وحديثه معهم وصلاته بهم ـ هذه الساعات ـ هى نصيب الأرض من رحلتى الإسراء والمعراج معا. أما نصيبها من زمن المعراج الذى كما أوضحت استغرق آلاف أو ملايين السنين من عمر الزمن.. فنصيبها يكاد يكون لاشىء!: جزء من اللحظة التى هى مقدار انطلاق المعراج من الأرض إلى السماء الأولى، وجزء آخر من لحظة الهبوط منها(١).

أما الزمن بين اللحظتين أو زمن المعراج نفسه فلم يكن للأرض فيه نصيب.

ببساطة لأنها (الأرض الحالية) تقع فى زمن ما قبل زمن العروج، أو هى فى الماضى بالنسبة له، وكل زمن المعراج بعد السماء الأولى ـ فى المستقبل بالنسبة للأرض والدنيا كلها ـ فكيف يمر عليها (زمن المستقبل)؟

نتخيل الأمر بمثل بسيط:

نحن الآن اليوم (يعنى النهارده).. فهل يستطيع أن يمر علينا زمن الغد.. (بكره)..؟

---

(١) وحتى اللحظتين لايحسبان من زمن الأرض الحالى بل من زمنها المستقبلى ـ القريب من زمن انتهاء الدنيا ـ أى بعد آلاف أو ملايين السنين من انطلاق المعراج من الزمن الأرضى.

وإذا كنا مثلا فى شهر نوفمبر.. فهل إذا كان هناك حدث فى ديسمبر المقبل سيأخذ وقتا منه - فهل سيمر علينا زمن هذا الحدث ونتأثر به الآن ونحن في نوفمبر كذلك حدث المعراج وما استغرقه من زمن هو فى المستقبل بالنسبة للأرض (يأخذ ما يأخذه من وقت): فلن يمر بالأرض منه شىء. هى لم تصل بعد لهذا الزمن المستقبلى. هى قبله.. ولا تتأثر به لأنه لايمر عليها! كما لانتأثر نحن أو نمر بزمن (بكرة) ونحن فى (النهارده). كذلك أقول: كيف يمر على الأرض حدث فى المستقبل حتى وإن حدث، إلا إذا صار هذا المستقبل حاضرا؟

- لكن المستقبل، بدل حضوره إلينا ذهبنا نحن إليه فصار حاضراً فى مكانه هذا وزمانه هذا.. وكيف نذهب للغد قبل أن يأتى؟ أقول: نسبق الزمن الذى نحن فيه. وكيف شهد النبى أحداثه قبل أن تقع؟ أقول ما سبق وقلته من أن النبى ﷺ كان يرى فى رحلة المعراج فى أزمان - هى فى حساب الزمن - تسبق زمن الأرض بملايين السنين، فكيف نقارن حياة أناس اليوم بما سيحدث لهم بعد تلك الأزمان؟

سيكون على حساب ذلك الزمن الذى كان فيه الرسول فى السماء، كل الأحداث قد وقعت بالفعل. وكلٌ عمل عمله واستوفى نصيبه من الدنيا لأن النبى كان ينظر فى (الاخرة) لا فى (الدنيا). والذى يعمله أى شخص الآن فى حياته مازال فى (الماضى) بالنسبة للزمن الذى وصل إليه الرسول، ولذلك لم يستكمله بعد. والدنيا كلها هى الماضى الذى خرج منه

الرسول بالمعراج ليشاهد ما بعدها بعد أن قطع المسافات أى الأزمان الباقية على انتهائها. وكما سبق أن قلت أيضاً هو يقطع المئات والآلاف من السنين فى لحظات (فيكون فى أزمان متقدمة عن زمن الأرض).. أم ترى أننا نظن أن السماء حقا على بعد ليلة؟.

لو كان الأمر كذلك ـ ما قال الله تعالى:

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾. المعارج. فالمسافة رهيبة ومقدارها هذا الزمن. لكن المسافر هنا ملائكة! وكذلك فعل ـ المسافر بالمعراج عليه الصلاة والسلام (ومر بالخمسين ألف سنة). وكما عرفنا: إذا ترك مكان الحدث ترك زمانه لأنهما (الزمكان) لاينفصلان[١].

إذاً ترك النبى مكان الآخرة وزمانها وأصبح بعد فى الدنيا، أى فى الزمن قبل أن تحدث الأحداث التى رآها فى المعراج. لأنه رآها وقت حدوثها فى المستقبل. ومازالت الدنيا تسير تبع ما قدره الله خالقها وكتبه فى الأزل، وستبقى هكذا حتى تصل إلى ذلك الزمن الذى رأى فيه النبى نهايتها وقد تمت كل الأحداث واستوفى العمل والجزاء حيث ظل يسير فى الزمن حتى ذلك الوقت..

اللهم اجعل جزاءنا رضاك يا أرحم الراحمين ويا خير الراحمين ـ آمين.

---

(١) وزمن المعراج (أخروى) لايمر على الدنيا إلا (اللحظتين) مهما بقيت الدنيا وبقيت الأرض لأنه جزء من زمن سرمدى لاينتهى. وهو يبدأ بإنتهاء الدنيا.

ملخص الكتاب في سطور

في رحلة الإسراء والمعراج:

النبي ﷺ أراه الله الآخرة. والآخرة ليست زمانا فقط - بل زمانا ومكانا. أما زمانها فما بقي من دنيا، وأما مكانها فهو بدءا من ظهر السماء الدنيا (أو سماء الدنيا: كما قال ابن عباس). فمن وصل إلي ذلك المكان فقد قطع إليها الزمان.. ومن قطع ذلك الزمان، فقد وصل إلى المكان.. وهذا سيحدث للناس جميعا (عندما يأتي زمانها.. سيجدون أنفسهم في مكانها - أي في الآخرة).

أما النبي ﷺ فقد أذهب إلي مكانهاً وزمانها - بالمعراج. (الذي يطوي الزمان والمكان) وصل به مكانها - فكان قد قطع الزمان إليها، وأصبح في زمانها. قطعه سريعا طاويا الزمان والمكان. وبذلك خرج من إطار الدنيا (زمانا ومكانا أيضا) ورأى ما رأى.. في الآخرة!

مراجع الكتاب

١ ـ القرآن العظيم.

٢ ـ تفسير/ الخازن.

٣ ـ تفسير/ ابن كثير.

٤ ـ تفسير/ المنتخب/ المجلس الأعلي للشئون الإسلامية.

٥ ـ تفسير. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.

٦ ـ صفوة التفاسير (عن تفسير: الطبرى، الألوسى، ابن كثير، الخازن، وغيرهم) للشيخ على الصابونى.

٧ ـ كتاب/ التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول/ الشيخ منصور على ناصف/ من علماء الأزهر الشريف.

٨ ـ حديث/ الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس.

٩ ـ كتاب/ الله والكون/ د. محمد جمال الدين الفندي.

١٠ ـ كتاب/ مستفاد الرحلة والاغتراب/ القاسم بن يوسف التجيبى/ تحقيق عبدالحفيظ منصور/ الدار العربية للكتاب/ ليبيا ـ تونس.

١١ ـ كتاب/ الفروق فى اللغة/ أبو هلال العسكرى/ دار الآفاق/ بيروت.

١٢ ـ كتاب/ أسرار الإسراء والمعراج/ محمد فهمى عبدالوهاب/ دار الاعتصام / القاهرة.

١٣ ـ كتاب/ مع الرسول فى اسرائه ومعراجه/ د. عبدالصبور شاهين/ اعداد عبدالله المصرى/ الدار الذهبية/ القاهرة.

١٤ ـ كتاب/ اينشتين والنسبة/ د. مصطفى محمود/ دار المعارف القاهرة.

١٥ ـ كتاب/ المعجزة الكبرى/الشيخ محمد متولى الشعراوى/ دار أخبار اليوم.

فهرس الكتاب

الموضــــوع	رقم الصفحة

تابع فهرس الكتاب

الموضـــوع	رقم الصفحة


Bibliotheca Alexadrina
0298707


G.P.
المطبعة الذهبية
ت : ٥٩٢٦٧٨٩